

كلمة وكليمة

تأليف

مصطفى صادق الرافعي

(١٢٩٨ - ١٣٥٦ هـ = ١٨٨١ - ١٩٣٧ م)

بعناية

بسم عبد الوهاب الجابي

دار ابن حزم

الطبعة الأولى
إلى طبع والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة
وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.

كلمة وحكيمة



مجموع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها



AL-JAFFAN & AL-JABI

Printers - publishers

JAFFAN TRADERS P.O.Box: 4170 Limassol - CYPRUS

Fax: 357 - 5 - 591160 Phone: (05) 583345

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص ب: ١٤/٦٣٦٦ - تليفون: ٧٠١٩٧٤

كلمة و كليمه

هي مقالات نشرت في مجلة «الرسالة»^(١) ولم تنشر في كتاب، وهي كلمات جامعة تدور على أغراض مختلفة من الأدب والدين والأخلاق والاجتماع، [راجع «الرسالة» العدد: ٢١٠، ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ هـ = ١٢ يوليو/تموز ١٩٣٧م، السنة الخامسة، الصفحات: ١١٣٤ - ١١٣٥م، محمد فهمي عبد اللطيف].

والمعلومات الإرجاعية لهذه المقالات هي:

- «كَلِمَةٌ وَكَلِيمَةٌ» (١)؛ «الرسالة» العدد: ٦٥، ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ هـ = ١ أكتوبر/تشرين الأول سنة ١٩٣٤م، السنة الثانية، الصفحات: ١٦٠٥ - ١٦٠٦.

- «كَلِمَةٌ وَكَلِيمَةٌ» (٢)؛ «الرسالة» العدد: ٧٦، ١٠ شهر رمضان سنة ١٣٥٣ هـ = ١٧ ديسمبر/كانون الأول سنة ١٩٣٤م، السنة الثانية، الصفحات: ٢٠٤٣ - ٢٠٤٥.

(١) جُمِعَتِ المقالات التي نشرت في مجلة «الرسالة» فكان «وحي القلم». لكن «كلمة وكليمه» لم يعاد نشرها ضمن «وحي القلم».

- «كَلِمَةٌ وَكَلِمَةٌ» (٣)؛ «الرسالة» العدد: ٨٤، ٧ ذو القعدة
سنة ١٣٥٣ هـ = ١١ فبراير/شباط ١٩٣٥م، السنة
الثالثة، الصفحات: ٢٠٣ - ٢٠٤.

- «كَلِمَةٌ وَكَلِمَةٌ» (٤)؛ «الرسالة» العدد: ٩٤، ١٩ محرم سنة
١٣٥٤ هـ = ٢٢ إبريل/نيسان ١٩٣٥م، السنة الثالثة،
الصفحات: ٦٤٣ - ٦٤٤.

- «كَلِمَةٌ وَكَلِمَةٌ» (٥)؛ «الرسالة» العدد: ١٠٥، ٧ شهر ربيع
الآخر سنة ١٣٥٤ هـ = ٨ يوليو/تموز ١٩٣٥م،
السنة الثالثة، الصفحات: ١٠٨٣ - ١٠٨٤.

- «كَلِمَةٌ وَكَلِمَةٌ» (٦)؛ «الرسالة» العدد: ١٢٤، ٢١ شعبان سنة
١٣٥٤ هـ = ١٨ نوفمبر/تشرين الآخر ١٩٣٥م،
السنة الثالثة، الصفحات: ١٨٤٣ - ١٨٤٤.

- «كَلِمَةٌ وَكَلِمَةٌ» (٧)؛ «الرسالة» العدد: ١٣٥، ١٠ ذو القعدة
سنة ١٣٥٤ هـ = ٣ فبراير/شباط ١٩٣٦م، السنة
الرابعة، الصفحات: ١٦٣ - ١٦٤.

* * *

هكذا الكتاب

جعلتُ «أقوال العظماء في الرافعي» كمقدمة،
يتبعها نص ثلاث مقالات للعريان نشرها في
«الرسالة» في حياة الرافعي، ثم بعد ذلك ما كتبه
أحمد حسن الزيات في إعلان وفاة الرافعي، ثم
كلام للرافعي عن الموت؛ بعد ذلك يأتي نص
«كَلِمَةٌ وَكُلَيْمَةٌ»، ثم يكون مسك الختام ما كتبه
الأستاذ محمود شاكر عن الرافعي.

وقد أوردتُ تعريفات بالكتاب، ولا سيما
حامل الراية بعد الرافعي الأستاذ محمود أحمد
شاكر رحمهم الله جميعاً.

وفي الختام، أرجو الله سبحانه وتعالى أن
يسرنا للخير، ويستعملنا صالحاً، ويرحمنا ويغفر
لنا ولوالدينا ولكل من له حق علينا، وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق في ١٧/٤/٢٠٠١ م

بسام عبد الوهاب الجابي

أقوال العظماء في الرافعي (*)

.. إِنَّ النَّاطِمَ لَمْ يَتَجَاوَزِ الثَّالِثَةَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ سِنِيهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ أَذْرَكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّنَةِ سَيَكُونُ مِنَ الْأَفْرَادِ الْمُجَلِّينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَمَنْ سَيَحْلُوتُ جَيِّدَ الْبَلَاغَةِ بِقَلَائِدِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ.

إبراهيم اليازجي

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِلْحَقِّ مِنْ لِسَانِكَ سَيْفًا يَمْحَقُ بِهِ الْبَاطِلَ، وَأَنْ يُقِيمَكَ فِي الْأَوَاخِرِ مَقَامَ حَسَنِ فِي الْأَوَائِلِ.
محمد عبده

سَيَاتِي يَوْمَ إِذَا ذُكِرَ فِيهِ الرَّافِعِي قَالَ النَّاسُ: هُوَ الْحِكْمَةُ الْعَالِيَةُ مَضُوعَةٌ فِي أَجْمَلِ قَالِبٍ مِنَ الْبَيَانِ.

مصطفى كامل

في جريدة «اللواء»

(*) نشرت هذه الأقوال في «الرسالة» العدد: ٢٠٣، ١٤ شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٦هـ = ٢٤ مايو/أيار سنة ١٩٣٧م، السنة الخامسة، الصفحة: ٨٦٤.

يَبَاتُ كَأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ قَبَسٌ مِّنَ النَّوْرِ الْحَكِيمِ.
سعد زغلول

ثِقْ أَنِّي أَسَافِرُ مُطْمَئِنًّا وَأَنْتَ بَقِيَّتِي فِي مَضَرٍ.
عبد المحسن الكاظمي
وهو مسافر إلى الأندلس

أَرَاكَ وَأَنْتَ نَبْتُ الْيَوْمِ تَمْشِي
بِشَعْرِكَ فَوْقَ هَامِ الْأَوَّلِينَ
وَأُوتِيَتِ النُّبُوءَةُ فِي الْمَعَانِي
وَمَا جَاوَزْتَ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ
حافظ إبراهيم

«لَوْ كَانَتْ هَذَا الْكِتَابُ فِي بَيْتٍ حَرَامٍ إِخْرَاجُهُ لِلنَّاسِ مِنْهُ،
لَكَانَ جَدِيداً بِأَنْ يُحْجَجَ إِلَيْهِ»، وَلَوْ عُكِّفَ عَلَى غَيْرِ كِتَابِ
اللَّهِ فِي نَوَاشِيءِ الْأَسْحَارِ، لَكَانَ جَدِيداً بِأَنْ يُعْكَفَ
عَلَيْهِ».

شكيب أرسلان

لَقَدْ جَعَلْتُ لَنَا شَكْسِيرَ كَمَا لِلْإِنْكَلِيزِ شَكْسِيرٌ، وَغَوْتَهُ كَمَا
لِلْأَلْمَانِ غَوْتَهُ، وَهُوَ كَمَا لِلْفَرَنْسِيِّينَ هُوَ غَوْ.

أحمد زكي باشا

في كتاب «المساكين»

الرافعي

بقلم: تلميذه وصديقه
الأستاذ محمد سعيد الغريان

أبسط وأوسع من كتب عن مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى تلميذه وصديقه الأستاذ محمد سعيد العريان رحمه الله تعالى، فقد نشر بعد سنتين من وفاة الرافعي، أي: سنة ١٩٣٩م، كتاباً مستقلاً سماه «حياة الرافعي»، لكن ما أنشره اليوم هو نص ثلاث مقالات للعريان نشرها في «الرسالة» في حياة الرافعي، أي أن الرافعي قرأها ولم يستنكر منها شيئاً، على الأقل لم يكتب خلافها مع متابعتها للنشر في مجلة «الرسالة» ذاتها؛ ولذلك أهمية خاصة، ووجدت أن نشرها مفيد حيث فيه توفيرها للباحثين ببعثها من مرقدها بين صفحات أعداد مجلة «الرسالة». صحيح أن الرافعي توفي وبينه وبين الأستاذ العريان مغاضبة، لكن هذه المغاضبة كانت بعد الطبعة الأولى من «وحي القلم»، أي: بعد فترة من كتابة الأستاذ العريان لمقالاته الثلاث عن حياة الرافعي، [راجع حياة الرافعي] الصفحة: ١٥] وقبل وفاة الرافعي رحمه الله بأقل من شهرين [راجع «الرسالة» العدد: ٢١١، صفحة ١١٧٥] وبالتالي فإن الرافعي لم يستنكر أيّاً من المعلومات التي وردت فيها، بل هي في حكم المقرّر لها والمجيز لما ورد فيها، ومن هنا فهي أعلى قيمة من غيرها.

والمعلومات الإرجاعية لهذه المقالات الثلاث هي:

- الرافعي (١) بقلم تلميذه وصديقه الأستاذ محمد سعيد العريان؛ «الرسالة» العدد: ١٠٨، ٢٨ شهر ربيع الآخر سنة ١٣٥٤ هـ = ٢٩ يوليو/ تموز ١٩٣٥م، السنة الثالثة، الصفحات: ١٢٢٢ - ١٢٢٥.

- الرافعي (٢) بقلم تلميذه وصديقه الأستاذ محمد سعيد العريان؛ «الرسالة» العدد: ١٠٩، ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ هـ = ٥ أغسطس/ آب ١٩٣٥م، السنة الثالثة، الصفحات: ١٢٦٤ - ١٢٦٦.

- الرافعي (٣) بقلم تلميذه وصديقه الأستاذ محمد سعيد العريان؛ «الرسالة» العدد: ١١٠، ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ هـ = ١٢ أغسطس/ آب ١٩٣٥م، السنة الثالثة، الصفحات: ١٣٠٣ - ١٣٠٦.

أما عن حياة الأستاذ محمد سعيد العريان فأقول:

التعريف بمحمد سعيد العُريان^(١)

[١٣٢٣ - ١٣٨٤ هـ = ١٩٠٥/١٢/٢ - ١٩٦٤/٦ م]

من هو - أديب مصري، كاتب، ناقد أدبي، قاصّ، وصحافي نشيط كشف في قصصه عن أمجاد الإسلام المرسومة على صفحات تاريخ مصر الإسلامية في عهد الطولونيين والأيوبيين والمماليك. وهو ناقد أدبي عُرف بالجرأة والصراحة والوضوح، كما ترى ذلك في الفصل الأسبوعي الذي كان يخرره بعنوان: «الأدب في أسبوع»، في مجلة «الثقافة» (مصر) بإمضاء «قاف» في سنتيها ١٩٤٢ و ١٩٤٣ م كما كتب في «الرسالة» أيضاً. تأثر بفن علي الجارم وواصل تقاليده.

وهو إلى هذا قاصّ معروف، وضع جانباً من القصص الممتع المجوّد، جاءت حلقة في ذلك الاتجاه الذي بدأه، من قبل، جرجي زيدان وسار فيه فريد أبو حديد، جلا فيها جوانب مصر الإسلامية. تتلمذ على الرافعي، وعَمِلَ في كتابة سره وترجم له، فاتّجه تحت تأثيره نحو إحياء الأدب العربي الإسلامي والكشف عن أمجاد الإسلام في قصص عبّر فيها عن نبضات الشعب.

(١) نقلاً عن «مصادر الدراسة الأدبية» ليوסף أسعد داغر ٨١٠/٣ - ٨١٣ مع بعض الزيادات.

وهو كاتب جيّد العبارة، صادق الحب، مصقول البيان، كما يقول فيه أنور الجندي. يغلب على أسلوبه الاتجاه التاريخي، فقد عرف أن يمزج التاريخ بالأدب، وعمل في إبراز الأمجاد العربية الإسلامية الجديرة بالتخليد.

عُرِف بالولاء للرافعي ورعى له هذا الولاء بعد أن غيَّبه الموت، وظل على مودّته له بالرغم من اتصاله ببطه حسين والعمل معه في وزارة المعارف. وله بالوفاء صلة تبرز على أتمها في وفائه لزوجته فقد عاش لذكرها وفيّاً، فكتب في الذكرى الأولى لوفاتها فصولاً عن هذه المأساة تفيض بالحزن العميق واللوعة المشبوبة والكمد المحرق كما تدفق عبد الرحمن صدقي، من قبل، شعراً، بعد وفاة زوجته.

ولد بقرية محلة حسن، مركز المحلة الكبرى من أعمال محافظة الغربية، التحق بالمعاهد الدينية، بعد أن حَفِظ القرآن، وتخرّج من دار العلوم، سنة ١٩٣٠م، واشتغل بالتدريس بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية، ثم انتقل، عام ١٩٣٥م، إلى مدارس الوزارة، وبقي يدرس فيها حتى عام ١٩٤٢م، ثم انتقل إلى الإدارة يعمل في دواوينها الفنية، مراقباً فنياً أو مديراً لمكتب الوزير، في عهدي العشماوي باشا وطه حسين.

أمّا نشاطه الصحفي فيظهر في مشاركته الكبيرة في تحرير كثير من المجلات الأدبية: كـ «الرسالة» و «الثقافة» و «الكاتب المصري». وقد وجّه هذا الميل الصحفي إلى خدمة الصغار والناشئة عن طريق مجلة خاصة لهم تنشر فيها القصص الملائمة لميولهم وأعمارهم وتعدّهم لأن يكونوا قراء في

غدهم. ورحبت دار المعارف بهذه الفكرة فأصدرت مجلة «سندباد» في يناير/كانون الآخر ١٩٥٢م، فسدت هذه المجلة في ميدان صحافة الأولاد، فراغاً كبيراً، وتولى العريان رئاسة تحريرها، ثم رأى أن يستعين بطائفة من المربين المتخصصين بقصص الأطفال.

مؤلفاته:

- «كيف أختار زوجتي» القاهرة، ديسمبر/كانون الأول ١٩٢٨ م (بحث عاطفي في كُتَيْب).

- مجموعة القصص المدرسية، بالاشتراك مع الأستاذين أمين دويدار ومحمود زهران، من خريجي دار العلوم. سلسلة من القصص عدد حلقاتها ٢٣ حلقة، صدرت الحلقة الأولى منها في يناير/كانون الآخر ١٩٣٥ م.

- مجموعة التربية الدينية للمدارس الابتدائية.

- روضة الأطفال، سلسلة قصص بالاشتراك مع الأستاذين دويدار وزهران.

- «حياة الرافعي» حياة مصطفى صادق الرافعي المتوفى سنة ١٩٣٧ م - القاهرة مطبعة الرسالة، ١٩٣٩م، ص ٣٠٣؛ (١٩٥٥ م)، ص ٣٦٨.

- «قطر الندى» قصة تاريخية تصور حالة مصر في أثناء حكم الدولة الطولونية القاهرة، دار المعارف، ١٩٤٥ م (سلسلة اقرأ).

- «على باب زويلة» قصة مصرية تاريخية تصور حالة مصر في آخر عهد سلاطين المماليك إلى الفتح العثماني - طبعة أولى ١٩٤٧م، طبعة ثانية ١٩٥١م، (نالت جائزة مجمع فؤاد الأول للقصة سنة ١٩٤٧م - أذن في ترجمتها إلى الروسية والفرنسية).

- «شجرة الدر» قصة تاريخية تصور حالة مصر في آخر عهد الأيوبيين وابتداء عهد المماليك - الطبعة الأولى، دار المعارف، ١٩٤٧م (سلسلة اقرأ) رقم ٦٠، طبعة ثانية خاصة، ١٩٥٠م.

... وآخرون «البترول والسياسة العربية» القاهرة، دار المعارف، ؟ - ١٩٥٠م، ص ٢٠٨ - جداول - خرائط.

- «بنت قسطنطين» قصة تاريخية تصور محاولة الأمويين في عهد عبد الملك بن مروان، افتتاح القسطنطينية - القاهرة، ١٩٤٨م.

... وآخرون «حقيقة الشيوعية» القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥م ص ١٩٨ - صور.

- رحلات سندباد.

- «من حولنا» قصص مصرية - القاهرة، دار الكاتب المصري، ١٩٤٥م، ص ٢٦٠.

- «قصة الكفاح بين العرب والاستعمار» ط ٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٠م.

- «معركة الحرية».

- «أهداف المعركة».

- «العرب» (مترجم).

وقد أخرج طائفة من الكتب القديمة محققة، منها:

- «العقد الفريد» لابن عبد ربه، في ٨ أجزاء - القاهرة،

المكتبة التجارية، ١٩٤١م، ط ٢، القاهرة، ١٩٥٣م، ج ٨ في ٤ مجلدات.

- «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» لعبد الواحد

المراكشي - القاهرة، ١٩٤٩ - طبعة ثانية، من إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

- «الأمصار والعمران» لابن خلدون.

مصادر ومراجع:

- يوسف أسعد داغر - «مصادر الدراسة الأدبية» ٣/ ٨١٠ - ٨١٣.

- محمد عبد الجواد - تقويم دار العلوم، ص ٤٢٩ - ٤٣٣ (وفيه صورته).

- أنور الجندي - أضواء على حياة الأدباء المعاصرين: ٤٨ - ٥٣.

- أنور الجندي - المحافظة والتجديد في النثر الغربي: ٧٤٠ - ٧٤٥.

-
- محمود حامد شوكت - الفن القصصي في الأدب المصري الحديث، ص ١٧٩.
 - خير الدين الزركلي - الأعلام، ١٤٤/٦ - ١٤٥.

الرافعي

١

«بَيِّنَاتٌ كَأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنَ التَّنْزِيلِ،
أَوْ قَبَسٌ مِنْ نُورِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ»

سعد زغلول^(١)

بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَسْتَاذِ مُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِعِيِّ عَهْدٌ وَذِمَّةٌ،
وَلَهُ عَلَيَّ حُرْمَةُ الْمَعْلَمِ وَالْأَبِ وَالصَّدِيقِ؛ أَفْتَرَى كُلَّ أَوْلَيْكَ
يَمْنَحُنِي الْحَقُّ أَنْ أَكْتُبَ عَنْهُ كَمَا عَرَفْتُهُ، وَأَخَذْتُ عَنْهُ،
وَاسْتَمَعْتُ إِلَيْهِ، وَأَسْتَمْتَعْتُ بِفَنِّهِ وَأَدَبِهِ وَمَجْلِسِهِ؛ أَمْ تَرَاهُ
سَيَغْضَبُ إِذْ يَرَانِي أَتَنَاوُلُ حَيَاتَهُ وَأَدَبَهُ فَأَنْشُرَ مِنْهُمَا عَلَى النَّاسِ،
ثُمَّ لَا أَنْبِئُهُ بِمَا أَعْتَزَمْتُ إِلَّا حِينَ تَنْبِئُهُ الصَّحَائِفُ الْمَنْشُورَةُ،
عَلَى حِينِ أَجَالِسُهُ كُلِّ مَسَاءٍ...؟.

وَإِنِّي لَحَرِيصٌ عَلَى رِضَاهُ، وَمَا أَعْلَمُ أَنَّهُ يُغْضِبُهُ أَنْ
يَحْسُنَ رَأْيِي فِيهِ أَوْ يَسُوءَ؛ فَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ عِلْمِي أَنَّ ذَلِكَ حَقُّ
الْأَدَبِ، لَا يَمْنَعُ مِنْهُ تَفَاوُثُ الْمَنَازِلِ أَوْ تَدَانِي الرُّتَبِ، وَلَا يُؤَثِّرُ

(١) من كتاب لِفَقِيدِ الشَّرْقِ الزَّعِيمِ سعد زغلول إلى الرافعي، في تَقْرِيطِ
كِتَابِهِ «إِعْجَازُ الْقُرْآنِ».

فِيهِ حَقُّ الْمُعَلِّمِ وَالْأَبِ وَالصَّدِيقِ، بَلْ لَعَلَّهُ إِذْ يَغْضَبُ أَنْ يَكُونَ
غَضَبُهُ مِنْ أَنَّهُ يُؤْثِرُ الْعَيْشَ فِي عُزْلَتِهِ الَّتِي رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ، بَعِيداً
مِنْ ضَوْضَاءِ الْحَيَاةِ وَصَخْبِ النَّاسِ، مُنْعَزِلاً فِي (طنطا) الْحَبِيبَةِ
إِلَيْهِ، عَنْ مَجَالِي الْأَدَبِ وَمُزْدَحَمِ الْمُتَأَدِّبِينَ فِي (القاهرة).

عَلَى أَنِّي إِلَى ذَلِكَ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرَدَّ طَلِبَةً لِلْأُسْتَاذِ
الزِّيَّاتِ، وَهُوَ قَدْ طَلَبَ إِلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ هَذَا الْفَصْلَ عَنِ الرَّافِعِيِّ،
عَلَى عِلْمٍ بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدِي وَمَنْزِلَتِي عِنْدَهُ؛ أَفْتَشْفَعُ لِي هَذِهِ الْمَعْذِرَةُ
عِنْدَ الْأُسْتَاذِ الرَّافِعِيِّ أَمْ سَيَشْفَعُ لِي الْأُسْتَاذُ الزِّيَّاتُ...؟.

* * *

تمهيد:

سَمِعْتُ اسْمَ الرَّافِعِيِّ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُقْتَرِناً إِلَى نَشِيدِهِ الْخَالِدِ:
«أُسَلِّمِي يَا مِصْرَ..» فِي حَفْلٍ حَاشِدٍ بِطَنْطَا؛ وَكَانَ لِاسْمِهِ يَوْمَئِذٍ
فِي أُذُنِي رَيْنٌ عَذْبٌ، امْتَرَجَ بِأَنْغَامِ ذَلِكَ النَّشِيدِ، وَتَأَلَّفَ لِي
مِنْهُمَا لَحْنٌ عَلَوِيٌّ سَاحِرٌ، فِيهِ جَمَالٌ وَعَذُوبَةٌ، وَفِيهِ اعْتِرَاضٌ وَقُوَّةٌ.
عَلَى أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ يَوْمَئِذٍ أَهْوَاَ الرَّافِعِيِّ صَاحِبِ
«الْأَخْبَارِ»^(١)، أَمْ رَافِعِي آخَرُ، تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا وَحْدَةُ اللَّقَبِ
وَشِرْعَةُ الْوَطَنِيَّةِ.

(١) هو المرحوم أمين بك الرافعي صاحب جريدة «الأخبار» المصرية،
وابن عم الأستاذ مصطفى.

وَمَضَتْ سَنَوَاتٌ، وَشَدَّوْتُ مِنَ الْعِلْمِ مَا شَدَّوْتُ، وَإِذَا
صَدِيقٌ يَدْفَعُ إِلَيَّ كِتَابَ «رَسَائِلِ الْأَحْزَانِ».

كُنْتُ يَوْمَئِذٍ فِي بُكَرَةِ الشَّبَابِ، فِي تِلْكَ السَّنِ الَّتِي تَدْفَعُ
الْفَتَى إِلَى الْحَيَاةِ بَعِيْنَيْنِ مُغْمَضَتَيْنِ، وَفِكْرٍ حَالِمٍ، وَرَأْسٍ يَزْدَحِمُ
بِالْأَمَانِيِّ، وَقَلْبٍ مَمْلُوءٍ بِالثَّقَةِ؛ ثُمَّ لَا يَكَادُ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ عَلَى
حَقَائِقِ هَذَا الْوُجُودِ، حَتَّى يَعْرِفَ أَنَّ دُنْيَاهُ مِنْ دُنْيَا النَّاسِ،
وَيَحَسَّ الْفَرْقَ بَيْنَ عَالَمِ قَلْبِهِ، وَعَالَمِ حِسِّهِ، وَتَسْحَرُ مِنْهُ الدُّنْيَا
سُخْرِيَّتَهَا الْأَلِيْمَةَ؛ فَيَلْجَأُ إِلَى وَخْدَتِهِ الصَّامِتَةِ يَذْرُفُ دَمْعَ عَيْنَيْهِ
وَدَمْعَ قَلْبِهِ، فَلَا يَطْرُبُ إِلَّا لِأَنْعَامِ الْحُزَنِ، وَلَا يُسْرِي عَنْهُ إِلَّا
رَسَائِلُ الْأَحْزَانِ...!

وَاسْتَهْوَانِي عَنَوانُ الْكِتَابِ، فَتَنَاولْتُهُ أَقْلَبُ صَفْحَاتِهِ، لَا أَكَادُ
أَفْهَمُ جُمْلَةً إِلَى جُمْلَةٍ.. حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى قَصِيدَتِهِ «حِيلَةُ مِرَاتِهَا»
فَإِذَا شِعْرٌ عَذْبٌ يَخَالِطُ النَّفْسَ، وَيَنْفُذُ فِي رَفْقٍ إِلَى الْقَلْبِ؛ وَإِذَا
أَنَا أُعِيدُهَا مَرَّةً وَمَرَّةً، فَلَا أَدْعُ الْكِتَابَ حَتَّى أَسْتَظْهَرَ الْقَصِيدَةَ.
وَحَبَّبَ إِلَيَّ هَذَا الشُّعْرُ السَّاجِرُ أَنْ أَعُودَ إِلَى الْكِتَابِ، فَأَقْرَأُ فِي
رَوِيَّةٍ وَمَهْلٍ لِعَلَّنِي أَنْ أَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَنِي مِنْ مَعَانِيهِ؛ وَأَذْخِرُ
لِنَفْسِي قُوَّةً مِنْ سِحْرِ بَيَانِهِ، وَصِدْقِ عَوَاطِفِهِ؛ وَعُدْتُ إِلَيْهِ أَقْرُوهُ
قِرَاءَةَ الشُّعْرِ، أَفْهَمُهُ بِفِكْرِي وَشُعُورِي، وَأَنْظُرُ فِيهِ بِعَيْنَيَّ وَقَلْبِي؛
فَإِذَا الْكِتَابُ يَكْشِفُ لِي عَنْ مَعْنَاهُ.

وَأَحْبَبْتُ الرَّافِعِيَّ مِنْ يَوْمَيْدٍ، فَرَحْتُ أَتَّبِعَ آثارَهُ فِي
 الصُّحُفِ وَالْكِتَابِ، لَا يَفُوتُنِي مِنْهَا شَيْءٌ. وَأَشْهَدُ، لَقَدْ كُنْتُ
 أَجْهَدُ جَهْدًا شَدِيدًا فِي فَهْمِ كِتَابَةِ الرَّافِعِي؛ لِأَنِّي لَمْ يَكُنْ لِي
 عَهْدٌ بِمِثْلِهَا فِيمَا أَقْرَأُ، وَمَا كُنْتُ أَقْرَأُ مِنْ قَبْلُ إِلَّا لِإِزْجَاءِ الْفَرَاغِ،
 أَلْتَمِسُهُ فِي ذَلِكَ النَّوعِ الْهَيْنِ مِنْ أَدَبِ الْقِصَصِ وَالصُّحُفِ؛ عَلَى
 أَنِّي كُنْتُ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ أُحِبُّ الشَّعْرَ، أَقْرؤه فَأَفْهَمُ مَا أَقْرَأُ،
 فَكَانَ لِي مِنْ ذَلِكَ مَا أَعَانَنِي عَلَى فَهْمِ الرَّافِعِيِّ، ثُمَّ الْإِعْجَابُ
 بِهِ مِنْ بَعْدِ، ثُمَّ أَلَّا يُعْجِبَنِي إِلَّا مِثْلُ مَا يَكْتُبُ...

صَلَّيْتُ بِالرَّافِعِيِّ:

كُنْتُ أَعْرِفُهُ وَأَسْمَعُ عَنْهُ، عَلَى حِينٍ لَا يَعْرِفُنِي وَلَا يَسْمَعُ
 بِي، وَلَيْسَ عَجِيبًا؛ وَكُنْتُ أَلْقَاهُ فِي الطَّرِيقِ مُنْطَلِقًا إِلَى غَرَضٍ،
 يَهْزُ فِي يُمْنَاهُ الْعَصَا، وَيَتَأَبَّطُ بِسُرَاهُ عَدِيدًا مِنَ الصُّحُفِ
 وَالْمَجَلَّاتِ وَالْكِتَابِ، وَاسِعَ الْخَطْوِ لَا يَتَمَهَّلُ، مَا شِئًا عَلَى حَيْدِ
 الطَّرِيقِ لَا يَمِيلُ، نَازِرًا إِلَى الْأَمَامِ لَا يَتَلَفَّتُ إِلَّا حِينَ يَهْمُ
 بِاجْتِيَازِ الشَّارِعِ؛ فَإِذَا أَلْقَيْتَ إِلَيْهِ تَحِيَّةً، رَفَعَ يُمْنَاهُ بِالْعَصَا إِلَى
 رَأْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْظُرَ يُمْنَةً أَوْ يُسْرَةً أَوْ تَضَيِّقَ خُطَاهُ؛ وَكُنْتُ
 أَرَى ذَلِكَ فَأَحْسَبُهُ نَوْعًا مِنَ الْكِبَرِ وَأُرْسَتْقَرَايَةِ الْعُلَمَاءِ، فَبَاعَدَ
 ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَى حِينٍ...

فَفِي خَرِيفِ سَنَةِ ١٩٣٢م، اجْتَمَعَ بِطَنْطَا طَائِفَةٌ مِنْ

الشباب على تأليف رابطة أدبية باسم «جماعة الثقافة الإسلامية»، تقوم أغراضها على العناية بشؤون الأدب والاجتماع، والعمل على إحياء مجد العرب والإسلام. وتذاكر المجتمعون فيمن يمكن أن ينضم إلى الجماعة من أهل الرأي لتقوى به على تنفيذ أغراضها، فكان أسم الرافعي أول هذه الأسماء.

وذهبت إليه عن أمر الجماعة في وفد ثلاثة، فلقينا الرجل مرحباً مبسماً، وقادنا إلى (دار كتبه)، ثم جلس وجلسنا؛ وفي تلك الغرفة التي تنزل فيها عليه الحكمة ويلقى الوحي، جلسنا إليه ساعة يجاذبنا ونجاذبه الحديث ما نكاد نشعر أن الزمن يمر.

كان جالساً خلف مكتب تكاد الكتب من فوقه تحجبه عن عيني محدثه؛ وعن يمينه وشماله مناضد قد ازدحمت عليها الكتب في غير ترتيب ولا نظام، تطل من بين صفحاتها المطوية قصاصات تُبشرك أن قارئها لم يفرغ منها بعد، أو أن له وقفة عند هذا الموضع من الكتاب سيعود إليها. وعلى حيطان الغرفة أضواء الكتب المتراسة، لا يبدو من خلفها لون الجدار...

ومضى يتحدث إلينا حديث المعلم، وحديث الأب،

وحديث الصديق؛ فما شئت من حكمة، وما أكبرت من عطف،
وما استعذبت من فكاهاة؛ وللرافعي فكاهاة رائقة يخترعها لوفتها
لا تملك معها إلا أن تضحك وتدع التوقر المصنوع؛ على أن
له في فكاهاة مذهب عقلية بدیعة، تحس فيها روحه الشاعرة،
وفته البكر، وحكمته المتزنة، وسخريته اللاذعة؛ ويكاد يكون
كثير من مقالات الرافعي برهاناً على ذلك، فقلما تخلو إحداها
من دعاية طريفة أو نكتة مبتكرة.

وطال بنا المجلس وخشينا أن نكون قد أثقلنا عليه،
فهممنا بالانصراف، وإذا هو يطلب إلينا البقاء، ويلح علينا في
تكرار الزيارة، ويكشف لنا عن سروره بالأنا نغب مجلسه،
وعرفت الرافعي عرفاً تاماً من يومئذ فلزمته، وعرفني هو أيضاً
فأضفاني عطفه ومودته.

اختبار!

وجلست إليه في الزورة الثانية وبين يديه صحنه وكتبه،
فدفع إلي صحيفة يومية كان منشوراً فيها يومئذ قصيدة لشاعر
كبير، وطلب إلي رأيي في القصيدة. لم أتنبه ساعتئذ إلى
غرضه، وحسبته يقصد إلى أن يشاركني في لذة عقلية أحسها
في هذا الشعر؛ فتناولت الصحيفة وقرأت القصيدة، ثم دفعتها
إليه وقد أشرت بالقلم إلى عيون أبياتها ورأيي فيها، وتناولها

مِثِّي ليرى اختياري، فَمَا عَرَفْتُ إِلَّا وَفْتَيْدِ أَنَّهُ كَانَ يَخْتَبِرُنِي؛
وَلَكِنِّي - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - نَجَحْتُ فِي الْامْتِحَانِ قَدْرًا مِنْ
النَّجَاحِ...!

وَتَكَرَّرَ هَذَا الْاِخْتِبَارُ مَرَّاتٍ وَهُوَ لَا يَحْسَبُنِي أَذْرَكَ مَا
يَعْنِي، عَلَى أَنَّ إِذْرَاكِي هَذَا قَدْ جَعَلَنِي مِنْ بَعْدُ أَكْثَرَ تَدْقِيقًا فِي
اخْتِبَارِ الْحَسَنِ مِمَّا أَقْرَأُ. وَأَوْلَانِي ثِقَتُهُ عَلَى الْأَيَّامِ، فَكَانَ عَلَيَّ
مِنْ بَعْدُ أَنْ أَقْرَأُ أَكْثَرَ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ، لِأَشِيرَ لَهُ إِلَى
الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَصِحُّ أَنْ يَقْرَأَهَا مِنْهَا، وَأَدْعُ مَا لَا جَدْوَى عَلَيْهِ
مِنْ قِرَائَتِهِ ضَنًّا بِوَقْتِهِ؛ وَكُنْتُ أَنَا أَكْثَرَ رِبْحًا بِذَاكَ...

الشيخ الرافعي...

كَثِيرٌ مِنَ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ لِلرَّافِعِيِّ وَيَعْجَبُونَ بِهِ، لَا يَعْرِفُونَ
عَنهُ إِلَّا هَذَا الْأَدَبَ الْحَيَّ الَّذِي يَقْرَأُونَ؛ بَلْ إِنَّ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ
الْقُرَّاءَ لَيَتَخَيَّلُونَهُ شَيْخًا مَعْتَجِرَ الْعِمَامَةِ، مُطْلِقَ الْعَذْبَةِ، مُسْتَرْسِلَ
اللَّحْيَةِ، مِمَّا يَقْرَأُونَ لَهُ مِنْ بُحُوثٍ فِي الدِّينِ، وَآرَاءٍ فِي
التَّصَوُّفِ، وَحِرْصٍ عَلَى تِرَاثِ السَّلَفِ، وَفُطْنَةٍ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ،
مِمَّا لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا الشُّيُوخُ، بَلْ مِمَّا لَا يُدْرِكُهُ الشُّيُوخُ.. وَكَثِيرًا مَا
تَصِلُ إِلَيْهِ الرِّسَائِلُ بِعُنْوَانٍ: «صَاحِبُ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخُ مُصْطَفَى
صَادِقُ الرَّافِعِيِّ...» أَوْ «صَاحِبُ الْفَضِيلَةِ الْأَسَازُ الْأَكْبَر...».

ومن طَرِيفِ هذا البابِ رسالةٌ جاءتْهُ من حَلَبٍ مُنْذُ قَرِيبٍ يُبْذِي كَاتِبُهَا دَهْشَتَهُ أَنْ يَرَى صُورَةَ الرَّافِعِيِّ مَنْشُورَةً فِي «الرَّسَالَةِ» إِلَى جَانِبِ مَقَالَتِهِ فِي عَدَدِ الْهَجْرَةِ، مُطَرَّبَشًا، حَلِيقَ اللَّحْيَةِ، أُنِيقَ الثِّيَابِ، عَلَى غَيْرِ مَا كَانَ يَحْسَبُ؛ وَيَتَسَاءَلُ كَاتِبُ الرَّسَالَةِ: «لِمَاذَا يَا سَيِّدِي أَبْدَلْتَ ثِيَابًا بِثِيَابٍ، وَهَجَرْتَ الْعِمَامَةَ وَالْجُبَّةَ وَالْقَفْطَانَ، إِلَى الْحِلَّةِ وَالطَّرْبُوشِ؟ أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ رَأَيْتَ فِي مَدِينَةِ أَوْرُبَةِ وَفِي الْمَظَاهِرِ الْأَوْرُبِيَّةِ غَيْرَ الرَّأْيِ الَّذِي تَقْرُؤُهُ لَكَ...؟».

وَمَا كَانَ هَذَا السَّائِلُ فِي حَاجَةٍ إِلَى جَوَابٍ، لَوْ أَنَّهُ عَرَفَ أَنَّ الرَّافِعِيَّ لَمْ يَلْبَسِ الْعِمَامَةَ قَطُّ، وَهَذَا لِبَاسُهُ الَّذِي نَشَأَ عَلَيْهِ مُنْذُ كَانَ صَبِيًّا يَدْرُجُ فِي طَرْبُوشِهِ وَسَرَاوِيلِهِ الْقَصِيرَةِ، يَوْمَ كَانَ تَلْمِيزًا يَدْرُسُ الْفَرَنْسِيَّةَ إِلَى جَانِبِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَدْرَسَةِ الْمَنْصُورَةِ...

نشأته:

عَلَى أَنَّ نَشَأَةَ الرَّافِعِيِّ كَانَ لَهَا أَثَرٌ بَالِغٌ فِي هَذَا الْاِتِّجَاهِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي بَرَزَ فِيهِ وَتَفَرَّدَ بِهِ؛ فَهُوَ قَدْ نَشَأَ فِي بَيْتٍ لَهُ نَسَبٌ عَرِيقٌ فِي الْإِسْلَامِ. وَأَنْتَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَى تَارِيخِ الْقَضَاءِ فِي مِصْرَ إِلَى قَرْنِ مَضَى، رَأَيْتَ لاسْمِ (الرَّافِعِيِّ) تَارِيخًا فِي كُلِّ دِيْوَانٍ مِنْ دَوَاوِينِ الْقَضَاءِ وَالْإِفْتَاءِ. وَقَبْلَ نُزُوحِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الرَّافِعِيِّ الْكَبِيرِ مِنْ طَرَابُلُسِ الشَّامِ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا لِمَذْهَبِ أَبِي أَبِي حَنِيفَةَ أَتْبَاعُ فِي مِصْرَ؛ فَهُوَ شَيْخُ الْحَفِيفَةِ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ غَيْرِ

منازع، وقد تَخَرَّجَ على يَدَيْهِ أَكْثَرُ عُلَمَاءِ الْحَنْفِيَّةِ الَّذِينَ نَشَرُوا
 الْمَذْهَبَ، وَمِنْ تَلَامِيذِهِ الْمَرْحُومُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْبَحْرَاوِي الْكَبِيرُ؛
 كَمَا تَخَرَّجَ عَلَى يَدَيْ أَخِيهِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الرَّافِعِيِّ كَثِيرٌ
 مِنْهُمْ، وَمِنْ تَلَامِيذِ أَخِيهِ شَيْخُ الشُّيُوخِ الْآنَ فَضِيلَةُ الْأَسْتَاذِ
 مُحَمَّدُ بَخِيْتِ مُفْتِي الدَّوْلَةِ السَّابِقِ، مَدَّ اللَّهُ فِي حَيَاتِهِ. وَقَدْ
 مَضَى زَمَنٌ كَانَتْ فِيهِ وَظَائِفُ الْإِفْتَاءِ كُلُّهَا مُحْبُوسَةً عَلَى (آلِ
 الرَّافِعِيِّ)، حَتَّى ذَكَرَ اللُّورْدُ كُرومر فِي بَعْضِ تَقَارِيرِهِ: «إِنَّ مِنْ
 هَذِهِ الْأُسْرَةِ أَرْبَعِينَ قَاضِيًا شَرْعِيًّا». وَأَبُو الْمُرْجَمِ لَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ
 الرَّازِقِ الرَّافِعِيُّ، كَانَ رَئِيسًا لِلْمَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ
 الْأَقَالِيمِ، وَكَانَ رَجُلًا وَرِعًا لَهُ صَلَابَةٌ فِي الدِّينِ، وَشِدَّةٌ فِي
 الْحَقِّ، مَا بَرَحَ يَذْكُرُهَا مَعَ الْإِعْجَابِ مُعَاصِرُوهُ مِنْ شُيُوخِ طَنْطَا.
 وَبَيَّتُ الرَّافِعِيُّ فِي طَرَابُلُسِ الشَّامِ مِنَ الْبُيُوتِ الرَّفِيعَةِ، وَمَا يَزَالُ
 كَعْبَةٌ يَحُجُّ إِلَيْهَا الْعُلَمَاءُ. وَأَسْمُ (الرَّافِعِيِّ) مَعْرُوفٌ فِي تَارِيخِ
 الْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ مُنْذُ قُرُونٍ...

فَالْأَسْتَاذُ مُصْطَفَى صَادِقُ الرَّافِعِيِّ وَإِنْ كَانَ قَدْ تَرَبَّى تَرْبِيَةً
 مَدَنِيَّةً كَالَّتِي يَنْشَأُ عَلَيْهَا أَكْثَرُ أَبْنَاءِ هَذَا الْجِيلِ لَمْ يَزَلْ بَعْضُ
 أَهْلِهِ؛ وَقَدْ حَمَلَ عَنْ آبَائِهِ الرَّايَةَ يَقْتَحِمُ بِهَا فِي سَبِيلِ الدِّينِ،
 وَيُنَافِحُ الشُّرُكَ، وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ. وَمَا جِهَادُهُ فِي ذَلِكَ - عَلَى
 تَسْلُطِ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ وَالزَّيْغِ فِي هَذَا الزَّمَانِ - إِلَّا حَلَقَةٌ مِنْ

سِلْسِلَةَ جِهَادٍ طَوِيلٍ، أَفْرَعَهَا أَبَاؤُهُ حَلَقَةً حَلَقَةً مُنْذُ انْحَدَرَ أَوَّلُهُمْ
 مِنْ صُلْبِ الْفَارُوقِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ.

الرافعي الشاعر:

أَفْرَأَيْتَ الرَّافِعِي وَهَذَا مَنْشُؤُهُ وَنَسَبُهُ يَقْنَعُ بِالْقَدْرِ الضَّئِيلِ
 مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي تَلَقَّاهُ فِي الْمَدْرَسَةِ؛ وَمِنْ أَيْنَ لِلرَّافِعِيِّ أَنْ يَعْرِفَ
 هَذِهِ الْقَنَاعَةَ...؟.

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَرَكَ الْمَدْرَسَةَ حَتَّى أَتَكَبَّ عَلَى كُتُبِ الدِّينِ
 وَالْعَرَبِيَّةِ يَسْتَبْطِنُ أَسْرَارَهَا وَيَنْبُشُ عَنْ دَفَائِنِهَا؛ فَحَصَلَ مَا حَصَلَ
 مِنْ عُلُومِ اللُّغَةِ وَالدِّينِ، وَبَلَغَ مَا بَلَغَ مِنْ أَسَالِيبِ الْبَلَاغَةِ
 وَأَسْرَارِ الْعَرَبِيَّةِ. وَكَانَ فِي نَفْسِ الرَّافِعِيِّ هَوًى قَدِيمٌ أَنْ يَكُونَ
 شَاعِرًا... فَأَخَذَ يَقْرُضُ الشَّعْرَ، وَأَتَمَّ طَبْعَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ دِيَوَانِهِ
 وَلَمَّا يَبْلُغُ الثَّلَاثَةَ وَالْعَشْرِينَ.. وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ دِيَوَانِهِ مُقَدِّمَةً بَلِغَةً،
 كَانَتْ وَحْدَهَا الْبُرْهَانُ عَلَى أَنَّ هَذَا الشَّابَّ النَّحِيلَ الضَّاوِي
 الْجَسَدَ يَعْرِفُ أَيْنَ مَوْضِعُهُ بَيْنَ أَدْبَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فِي غَدٍ.. وَمَا
 أَحَاوَلُ أَنْ أَتَكَلَّمَ عَنِ الرَّافِعِيِّ الشَّاعِرِ الْأَدِيبِ فِي دِيَوَانِهِ وَعَنْ
 مُقَدِّمَةِ دِيَوَانِهِ بِأَبْلَغِ مِمَّا قَالَ عَنْهُ الْعَلَامَةُ الشَّيخُ إِبْرَاهِيمُ الْيَازْجِي،
 وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَدِيبُ الْعَصْرِ وَأَبْلَغُ مُنْشِئٍ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ؛ فَقَدْ
 كَتَبَ فِي عَدَدِ يُونِيُو/ تَمُوزِ سَنَةِ ١٩٠٣ م مِنْ مَجَلَّةِ «الضِّيَاءِ»،
 فِي تَقْرِيطِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ دِيَوَانِ الرَّافِعِيِّ مَا يَأْتِي:

«وقد صَدَّرَهُ النَّاظِمُ بِمَقْدَمَةٍ طَوِيلَةٍ فِي تَعْرِيفِ الشَّعْرِ،
 ذَهَبَ فِيهَا مَذْهَباً عَزِيزاً فِي الْبَلَاغَةِ، وَتَبَسَّطَ مَا شَاءَ فِي وَصْفِ
 الشَّعْرِ، وَتَقْسِيمِهِ، وَبَيَانِهِ مَزِيَّتِهِ، فِي كَلَامٍ تَضَمَّنَ مِنْ فَنُونِ
 الْمَجَازِ، وَضُرُوبِ الْخِيَالِ، مَا إِذَا تَدَبَّرْتَهُ وَجَدْتَهُ هُوَ الشَّعْرُ
 بَعِيْنِهِ...

ثم انتقد الأستاذ اليازجي بعض ألفاظ في الديوان، وعقب
 عليها بقوله:

«... على أن هذا لا ينزل من قدر الديوان وإن كان
 يُسْتَحَبُّ أَنْ يَخْلُوَ مِنْهُ؛ لَأَنَّ الْمِرَاةَ النَّقِيَّةَ لَا تَسْتُرُ أَذْنَى غُبَارٍ،
 وَمَنْ كَمَلَتْ مُحَاسِنُهُ ظَهَرَ فِي جَنْبِهَا أَقْلُ الْعُيُوبِ؛ وَمَا أَنْتَقَدْنَا
 هَذِهِ الْمَوَاضِعَ إِلَّا ضَنْاً بِمِثْلِ هَذَا النَّظْمِ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ هَذِهِ
 الشُّوَابِ، وَرَجَاءُ أَنْ يَتَنَبَّهَ إِلَى مِثْلِهَا فِي الْمُنتَظَرِ، فَإِنَّ النَّازِمَ -
 كَمَا بَلَّغْنَا - لَمْ يَتَجَاوَزِ الثَّالِثَةَ وَالْعَشْرِينَ مِنْ سِنِيهِ؛ وَلَا رَيْبَ أَنَّ
 مَنْ أَدْرَكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّنِ، سَيَكُونُ مِنَ الْأَفْرَادِ
 الْمُجَلِّينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَمِمَّنْ سَيُحَلُّونَ جَيِّدَ الْبَلَاغَةِ بِقَلَايِدِ
 النِّظْمِ وَالنَّثْرِ...».

الرافعي وحافظ:

لَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمَ الْيَازْجِي وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي تَنَبَّأَ
 لِلرَّافِعِيِّ الشَّابَّ بِالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي يَتَبَوَّأُهَا الْيَوْمَ؛ فَقَدْ نَالَ

يَوْمِيذٍ أَكْبَرَ قَسَطٍ مِنْ عِنَايَةِ الْأُدْبَاءِ فِي عَصْرِهِ؛ وَهَذِهِ أُبَيَاتُ
لشاعر مصر الكبير المرحوم حافظ إبراهيم، بَعَثَ بِهَا إِلَى
الرافعي في سنة ١٩٠٦ م تَذَلُّ بِنَفْسِهَا عَلَى مِقْدَارِ احْتِفَالِ أَدْبَاءِ
العصر بهذا النashiء الجبَّار^(١):

أَرَاكَ وَأَنْتَ نَبْتُ الْيَوْمِ تَمْشِي

بِشِعْرِكَ فَوْقَ هَامِ الْأَوَّلِينَ

وَأُوتِيتَ (الثُّبُوءَ) فِي الْمَعَانِي

وَمَا جَاوَزْتَ حَدَّ (الْأَرْبَعِينَ)

فَزِنْ تاجَ الرِّيَاسَةِ بَعْدَ (سامي)^(٢)

كَمَا زَانَتْ قَرَائِدُهُ الْجَبِينَا

وَهَذَا الصَّوْلُجَانُ فَكُنْ حَرِيصاً

عَلَى مُلْكِ الْقَرِيضِ وَكُنْ أَمِينَا

وَحَسْبُكَ أَنْ مُطَرِّكَ (ابْنُ هَانِي)^(٣)

وَأَنَّكَ قَدْ عَدَوْتَ لَهُ قَرِينَا

(١) أتاح لي صحة الرافعي ثلاث سنين، أن أقرأ أكثر رسائل الأدباء إليه بخط أصحابها؛ فكل ما سيأتي ذكره منها في هذا المقال أثبتته عن يمينته.

(٢) محمود سامي البارودي باشا، المتوفى سنة ١٩٠٤ م.

(٣) ابن هانيء: أبو نواس الشاعر العباسي المشهور، ويعنى به حافظ نفسه.

نبوءتان:

لم يتناول الرافعي في الجزء الأول من ديوانه إلا ما يتناولُه الشباب من فنونِ الشُّعرِ، ولم يَكُنْ مَعْرُوفاً له اتجاهُ أدبيٍّ إلى غَيْرِ هذا اللون من شُعرِ الشباب؛ على أَنَّ نبوءةً من وراء الغَيْبِ جاءتْ على لسان الأستاذ الإمام (محمد عبده)، في كتابٍ بَعَثَ به إلى الرافعي سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) تدعو إلى العَجَبِ والتأمُّلِ؛ إذ ختم كتابه إلى الرافعي بهذه العبارة:

«... أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِلْحَقِّ مِنْ لِسَانِكَ سَيْفًا يَمْحَقُ بِهِ الْبَاطِلَ؛ وَأَنْ يُقِيمَكَ فِي الْأَوَاخِرِ مَقَامَ حَسَّانٍ فِي الْأَوَائِلِ».

أفكان الشيخ محمد عبده يُلَقِّى الغَيْبَ، فَيَعْلَمُ من شأنِ الرَّافِعِيِّ في غَدِهِ مَقَامَهُ في الدِّفاعِ عن الحَقِّ والدَّوْدِ عن لُغَةِ الْقُرْآنِ؛ أمِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ للرَّافِعِيِّ كما اسْتَجَابَ دُعَاءُهُ لحافظ^(١)...

وَأَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ نبوءة أخرى ما كَتَبَهُ المرحوم الزعيم

(١) لما عَرَّبَ حافظ كتاب «البؤساء» عن الفرنسية، أهداهُ إلى الأستاذ الإمام مَعَ كَلِمَةٍ جاءَ فيها: «وقد عُنيْتُ بتعريبه لما يثني وبين أولئك البؤساء مِنْ صِلَةِ النَّسَبِ...» فيقال إنَّ الأستاذ الإمام كتب إليه يمازحه: «لو كانَ البؤسُ هو الَّذي أعانَكَ على تعريبِ هذا الكتابِ، فإني أدعو الله أن يزيدَكَ بؤساً...!» فكانَ حافظ - رحمه الله - يقول: «اسْتَجَابَ الله دُعَاءَ الإمام!» وقد عاشَ حافظُ مدَّةَ حَيَاتِهِ بائساً وماتَ بائساً.

مصطفى كامل باشا من تقرّظه ديوان الرافعي في جريدة اللواء: «وَسَيَأْتِي يَوْمٌ إِذَا ذُكِرَ فِيهِ الرَّافِعِيُّ قَالَ النَّاسُ: هُوَ الْحِكْمَةُ الْعَالِيَةُ مَصُوغَةٌ فِي أَجْمَلِ قَالِبٍ مِنَ الْبَيَانِ...».

ولما همّ الكاظمي الشاعر أن يسافر إلى الأندلس في سنة ١٩٠٥ م كَتَبَ إِلَى الرَّافِعِيِّ: «ثِقْ أَنِّي أَسَافِرُ مُطْمَئِنًّا وَأَنْتَ بَقِيَّتِي فِي مِصْرٍ...».

٢

الرافعي الأديب:

مَضَى الرَّافِعِيُّ فِي قَرَضِ الشَّعْرِ، مَعْنِيًا بِهِ، مُتَصَرِّفًا فِي فَنُونِهِ، ذَاهِبًا فِيهِ مَذَاهِبُهُ، إِلَى جَانِبِ عَنَانِيَّتِهِ بِالتَّأْلِيفِ وَالكِتَابَةِ، وَانْكِبَابِهِ عَلَى الْعِلْمِ وَالتَّحْصِيلِ، فَوَضَعَ فِي سَنَةِ ١٩١١ م كِتَابَهُ «تَارِيخِ آدَابِ الْعَرَبِ»، وَحَسْبُكَ بِهِ مِنْ كِتَابٍ أَنْ يَقْضِيَ الْأَسْتَاذُ الْكَبِيرُ أَحْمَدَ لُطْفِي السَّيِّدُ بِكَ أُسْبُوعًا يَخْطُبُ عَنْهُ فِي مَجَالِسِ الْعَاصِمَةِ^(١)، وَقَدْ كَتَبَ عَنْهُ الْأَمِيرُ شَكِيبُ أَرْسَلَانَ - وَهُوَ أَشْهُرُ كِتَابِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ - مَقَالَةً فِي صَدْرِ «الْمُوَيْد» جَاءَ

(١) حدثني الأستاذ الرافعي بهذه العبارة، كما حكاها له الأستاذ أحمد لطفى السيد بك.

فيها: «لو كَانَ هذا الكتابُ في بَيْتٍ حَرَامٍ إخراجُه للنَّاسِ مِنْهُ، لكانَ جَدِيرًا بأن يُحَجَّ إِلَيْهِ؛ ولو عُكِفَ على غَيْرِ كتابِ الله في نواشِيءِ الأَسْخارِ، لكانَ جَدِيرًا بأن يُعَكَّفَ عَلَيْهِ...».

وقالَ عنه المُقْتَطِفُ: «إِنَّه كِتَابُ السَّنَةِ...» وما كَتَبَ
المقتطف مِثْلَ هذه الكَلِمَةِ من قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ لِغَيْرِ هذا الكتابِ.

وَمَنْ يَقْرَأُ كتابَ الرافعي «تاريخ آداب العرب» يَعْرِفُهُ عَالِمًا
عميقَ البَحْثِ، مُرَتَّبَ الفِكرِ، واسِعَ المَعْرِفَةِ؛ إلى جانبِ مَعْرِفَتِهِ
به شاعِرًا عَرَبِيًّا الدِّيابَجَةِ، مُشْرِقَ المَعْنَى، مَشْبُوبَ العاطفة؛ على
أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ لم يَجَاوِزِ الثَلَاثِينَ...

ثُمَّ أَلَفَ الرافعي «كتاب المساكين» الذي يقولُ عَنْهُ فَقِيدُ
العربية العلامة أحمد زكي باشا: «لقد جَعَلْتُ لَنَا شَكْسِيرَ كما
للإنكليزِ شَكْسِير، وِغوتَه كما للألمانِ وِغوتَه، وهُوغو كما
للفرنسيين هُوغو».

وَتَأَلَّقَ نَجْمُ الرافعي الشاعِرِ العالمِ الأديبِ، وَبَرَزَ أَسْمُهُ
بَيْنَ عَشْرَاتِ الأَسْماءِ من أدباء عَصْرِه بَرَّاقًا تَلْتَمِعُ أَضْوَؤُهُ وترمي
أَشِعَّتْهَا إلى بَعِيدٍ؛ على أَنَّ هذه المَنزلةَ الكريمةَ التي نالها
الرافعي بَيْنَ الكُتَّابِ إلى جانبِ مَنزِلَتِهِ في الشُّعْر - لم تَكُنْ

غريبة؛ فقد حَدَّثَنِي أديبٌ فاضِلٌ^(١) كَانَتْ لَهُ صَلَّةٌ بِالْعَلَامَةِ
 الشيخ إبراهيم اليازجي: أَنَّ الرَّافِعِي لما طَبَعَ الجزء الأول من
 ديوانه سنة ١٩٠٣ م وأَهْدَى منه نُسخةً إلى الأستاذ اليازجي -
 أَبْطَأَ في الكتابة عن الدِّيوَانِ؛ فسأله هذا الأديبُ الفاضِلُ في
 ذَلِكَ فقال: لَقَدْ قَرَأْتُ مُقَدِّمةَ الدِّيوَانِ فَأَكْبَرْتُ أَنْ يَكُونَ كَاتِبُهَا
 مِنْ عَصْرِنَا؛ فَأَنَا مُنْذُ أُسْبُوعَيْنِ أَبْحَثُ عَنْهَا فِي مَظَانِّهَا مِنْ كُتُبِ
 العَرَبِيَّةِ، مِمَّا أُخَادِعُ نَفْسِي فِي قُدْرَةِ هَذَا الشَّيْخِ عَلَى كِتَابَةِ مِثْلِهَا.
 فقال له: إِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْخٍ، بَلْ هُوَ فَتَى لَمْ يَبْلُغِ الثَّالِثَةَ
 والعشرين...

وَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ يَكُونَ هَذَا كَلَامُ الْيَازْجِيِّ، فَقَدْ بَرَّهَنَ
 الرَّافِعِيُّ مِنْ بَعْدُ أَلْفَ بُرْهَانٍ عَلَى ذَلِكَ. وَإِنَّمَا كَتَبَ هَذِهِ الْمَقْدِّمَةَ
 وَغَنِي بِهَا حَتَّى جَاءَتْ مَا جَاءَتْ، لِيُعَارِضَ بِهَا مَقْدِّمَةَ حَافِظِ
 لَدِيَوَانِهِ الَّذِي نَشَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ؛ وَكَانَ لِمُقَدِّمَةِ حَافِظِ هَذِهِ
 حَدِيثٌ طَوِيلٌ، حَتَّى نَسَبَهَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَى الْمُؤَيَّلِيِّ؛ وَلَكِنْ
 مَقْدِّمَةُ دِيَوَانِ الرَّافِعِيِّ جَاءَتْ بَعْدَهَا تَقْطَعُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ؛
 وَاحْتَفَلَ بِهَا «الْمُؤَيَّد» أَيَّامَ احْتِفَالِ فَنَشَرَهَا فِي صَدْرِهِ، وَ
 «الْمُؤَيَّد» يَوْمَئِذٍ جَرِيدَةُ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ.

(١) [هو جورج إبراهيم حنّا].

بين الجديد والقديم:

ثُمَّ بَدَأَ الرَّافِعِيُّ يَمِيلُ عَنِ الشَّعْرِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا حَتَّى هَجَرَهُ مُنْذُ عَامَيْنِ، لَمْ يَنْظُمْ فِيهِمَا غَيْرَ قَصِيدَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ نُشِرَتَا لَهُ فِي مَجَلَّةِ «الْمُقْتَطَفِ». وَإِنَّهَا لَخَسَارَةٌ كَبِيرَةٌ أَنْ يَنْصَرِفَ الرَّافِعِيُّ عَنِ الشَّعْرِ وَيَتْرَكَ مِيدَانَهُ خَالِيًا.. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَهْجُرْ غَيْرَ الشَّعْرِ الْمَنْظُومِ، وَهَذِهِ كِتَابَاتُهُ الْمُنْثَوْرَةُ ضَرَبٌ مِنَ الشَّعْرِ أَفْسَحَ مَدَى وَأَبْعَدَ غَايَةٍ، وَإِنَّهُ لَيُنْشِئُ بِهَا أَدَبًا جَدِيدًا فِي الْعَرَبِيَّةِ عَلَى رَغْمِ مَا يُتَّهَمُ بِالتَّقْلِيدِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى الْقَدِيمِ؛ بَلْ مَعَانِيهِ كَمَا قَالَ الْأُسْتَاذُ الدَّكْتُورُ مَنْصُورُ فَهْمِي فِي تَقْرِيطِهِ «رِسَائِلُ الْأَحْزَانِ»: «إِنَّهَا مِنْ آخِرِ طَرَاظٍ يَأْتِي مِنْ أُرُوبَةٍ..» عَلَى أَنَّ الرَّافِعِيَّ إِلَى ذَلِكَ لَيْسَ لَهُ حِظٌّ مِنْ لُغَةٍ أَعْجَبِيَّةٍ، وَمَعْرِفَتُهُ الْفَرَنْسِيَّةِ لَا تُجْدِي عَلَيْهِ الْيَوْمَ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ تُجْدِي عَلَيْهِ يَوْمَ كَانَ يَتَعَلَّمُهَا بِالْمَدْرَسَةِ وَهُوَ غُلَامٌ!.

وَلِلْجَدِيدِ وَالْقَدِيمِ حَدِيثٌ طَوِيلٌ فِي تَارِيخِ الرَّافِعِيِّ؛ فَهُوَ قَدْ وَقَفَ نَفْسَهُ عَلَى الدَّفَاعِ عَنِ الدِّينِ وَالْحِفَافِ عَلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ. ذَلِكَ مَذْهَبٌ دَرَجَ عَلَيْهِ وَأَعَانَتْهُ عَلَيْهِ نَشَأَتُهُ وَتَرْبِيَّتُهُ؛ وَهَلْ يَأْخُذُ أَحَدٌ عَلَيْهِ هَذَا الْمَذْهَبُ أَوْ يُنْكِرُهُ؟.. فَهُوَ إِنَّمَا «يَحْرِصُ عَلَى اللَّغَةِ لَا مِنْ جِهَةِ الْحِرْصِ عَلَى الدِّينِ، إِذْ لَا يَزَالُ مِنْهُمَا شَيْءٌ قَائِمٌ كَالْأَسَاسِ وَالْبِنَاءِ، لَا مَنْفَعَةٌ فِيهِمَا مَعًا إِلَّا بِقِيَامِهِمَا مَعًا...» وَإِنَّهُ بِسَبِيلِ ذَلِكَ لَيَسْأَلُ: مَا الْجَدِيدُ وَمَا الْقَدِيمُ؟.

لو أَنَّهُمْ يَعْنُونَ بِالْجَدِيدِ الْإِبْتِدَاعَ وَالطَّرَافَةَ بِمِقْدَارِ مَا يَتَطَوَّرُ
 الْفِكْرُ، أَوْ الْإِنْشَاءَ وَالْإِبْتِكَارَ عَلَى مِقَادِرِ مَا يَنْفَعِلُ الزَّمَنُ فِي
 إِحْسَاسَاتِ أَهْلِهِ، أَوْ التَّنَوُّعَ وَالْخُلُقَ عَلَى قِيَاسِ مَا يَزِيدُ فِي
 الْمَعَانِي وَيَسْتَجِدُّ مِنْ أَنْفِعَالِ النَّفْسِ - لو أَنَّهُمْ يَعْنُونَ بِالْجَدِيدِ
 شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، أَوْ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، لَوَجَدُوا الرَّافِعِيَّ مُجَدِّدًا
 مَعَ الْمَجْدِّدِينَ: بَلْ لَمَّا كَانَ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا أَنْ يُسَمَّى جَدِيدًا،
 لِأَنَّهُ حُكْمُ الزَّمَنِ وَسُنَّةُ التَّطَوُّرِ مِنْ قَدِيمٍ.. أَمَّا أَنْ يَكُونَ التَّجْدِيدُ
 هُوَ ابْتِدَاعُ لُغَةٍ لَيْسَتْ مِنَ اللُّغَةِ، وَإِنْشَاءُ دِينٍ مِنْ شَهَوَاتِ النَّفْسِ
 لَا مِنْ وَحْيِ السَّمَاءِ، وَالتَّزْوِيرَ عَلَى التَّارِيخِ الْقَدِيمِ بِاخْتِرَاعِ
 تَارِيخٍ مِنَ الْأَحْلَامِ - أَمَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَمَا هُوَ التَّجْدِيدُ،
 وَلَكِنَّهُ التَّبْدِيدُ الَّذِي يُوشِكُ أَنْ يَتَّبِعَهُ الْفَنَاءُ...!

في النقد:

هذا هو الرَّافِعِيُّ فِي مَوْقِفِهِ مِنَ الْجَدِيدِ وَالْقَدِيمِ؛ وَمَا
 نُحِبُّ أَنْ نَنْتَهِيَ مِنْهُ حَتَّى نَعْرِضَ لِأُسْلُوبِ الرَّافِعِيِّ فِي النَّقْدِ؛
 فَمَا نَعْرِفُهُ نَاقِدًا عَنِيفًا إِلَّا حِينَ يَتَنَاوَلُ الْجَدِيدَ وَالْقَدِيمَ؛ وَإِذَا
 نَحْنُ تَدَبَّرْنَا مَا أَسْلَفْتُ مِنْ تَلْخِيصِ رَأْيِهِ فِي الْجَدِيدِ وَالْقَدِيمِ،
 وَمِنْ مِقْدَارِ حِمَاسَتِهِ فِي الدُّوْدِ عَنِ الدِّينِ وَالْعَرَبِيَّةِ - عَرَفْنَا لِمَاذَا
 يُؤَثِّرُ الرَّافِعِيُّ ذَلِكَ الْأُسْلُوبَ الْعَنِيفَ فِي مَهَاجِمَةِ خُصُومِهِ
 وَالطَّعْنِ عَلَيْهِمْ، إِذْ هُوَ لَا يَعْتَبِرُ حِينَئِذٍ إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا، هُوَ

الدَّفَاعُ عَنِ الدِّينِ وَتُرَاثِ السَّلَفِ، مُؤْمِنًا بِأَنَّكَ «لَنْ تَجِدَ ذَا دِخْلَةٍ خَبِيْثَةٍ لِهَذَا الدِّينِ إِلَّا وَجَدْتَ لَهُ مِثْلَهَا فِي اللُّغَةِ..» وَأَنْتَ لَا تَرَى الرَّافِعِيَّ مَرَّةً يَأْخُذُ فِي أَسْبَابِ النَّقْدِ لِيَدْفَعَ كَيْدًا يُرَادُ بِاللُّغَةِ وَالدِّينِ، إِلَّا كَمَا تَرَى الْبَدَوِيَّ النَّائِرَ لِعَرْضِهِ، يَطْرَحُ كُلَّ اعْتِبَارٍ مِنْ دُونِ هَذَا الشَّرَفِ الْمُثْلَمِ؛ فَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ فِي كَلَامِهِ مَعْنَى الدَّمِ...

على أَنَّ الرافعيَّ إِلَى شِدَّتِهِ وَعُنفَوَانِهِ، نَاقِدٌ بَصِيرٌ بِأَسَالِيبِ النَّقْدِ، مِمَّا عَالَجَ مِنْ مُخْتَلَفِ فَنُونِ الْأَدَبِ، وَوَقَفَ عَلَى أَسْرَارِ الْعَرَبِيَّةِ؛ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا كَتَبَ الْمَرْحُومُ السَّيِّدُ مُصْطَفَى لُطْفِي الْمَنْفُلُوطِي مَقَالَتهُ عَنِ الشُّعْرَاءِ وَنَشَرَهَا فِي مَجَلَّةِ (سَرْكِيْس) سَنَةِ ١٩٠٣م، كَتَبَ الْمَرْحُومُ حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى الرَّافِعِيَّ يَقُولُ: «.... قَدْ وَكَلْتُ أَمْرَ تَأْذِيهِ إِلَيْكَ..!».

وَقَدْ تَعَجَّبُ أَشَدَّ الْعَجَبِ أَنْ تَرَى الرَّافِعِيَّ يَنْسَى حِينَ يُجَرِّدُ قَلَمَهُ لِلنَّقْدِ كُلَّ اعْتِبَارٍ مِمَّا تَقُومُ بِهِ الصَّلَاتُ بَيْنَ النَّاسِ؛ وَلَكِنَّهُ هُوَ يَعْتَذِرُ مَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «... إِنَّمَا نَعْمَلُ عَلَى إِسْقَاطِ فِكْرَةٍ خَطَرَةٍ، إِذَا هِيَ قَامَتْ الْيَوْمَ بِفُلَانٍ الَّذِي نَعْرِفُهُ، فَقَدْ تَكُونُ غَدًا فَيَمَنْ لَا نَعْرِفُهُ؛ وَنَحْنُ نَرُدُّ عَلَى هَذَا وَعَلَى هَذَا بَرْدَ سَوَاءٍ، لَا جَهْلُنَا مَنْ نَجْهَلُهُ يُلَطِّفُ مِنْهُ، وَلَا مَعْرِفَتُنَا مَنْ نَعْرِفُهُ تُبَالِغُ فِيهِ.. فَإِنْ كَانَ فِي أَسْلُوبِنَا مِنَ الشَّدَّةِ، أَوِ الْعُنْفِ، أَوِ الْقَوْلِ

المؤلم، أو التَّهْكُم، فما ذلك أَرَدْنَا، وَلَكِنَّا كَالَّذِي يَصِفُ الرَّجُلَ الضَّالَّ لِيَمْنَعَ الْمُهْتَدِي أَنْ يَضِلَّ، فما بِهِ زَجْرُ الْأَوَّلِ، بل عِظَةُ الثَّانِي..».

وَقَدْ خَسِرَ الرَّافِعِيُّ كَثِيرًا بِالْإِمْسَاكِ عَلَى مَذْهَبِهِ ذَاكَ، وَوَضَعَ نَفْسَهُ بِحَيْثُ تَنَوَّشُهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ سِهَامَ مُسَدَّدَةٍ، وَأَلَبَّ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنَ الْخُصُومِ؛ وَلَكِنَّكَ لَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ أَبَدًا كَلِمَةَ التَّذَمُّ، وَتَرَاهُ عَلَى تَرَبُّصٍ دَائِمٍ لِكُلِّ «ذِي دَخَلَةٍ لِلدِّينِ وَالْعَرَبِيَّةِ..» وَهُوَ ضَرَبٌ مِنَ التَّضْحِيحَةِ وَالشَّجَاعَةِ يَدْعُو إِلَى الْإِعْجَابِ.

وَكَمَا تَرَى هَذَا الْمَوْقِفَ لِلرَّافِعِيِّ مِنْ دُعَاةِ الْجَدِيدِ فِي الْأَدَبِ، تَرَى لَهُ مَوْقِفًا قَرِيبًا مِنْهُ مِنْ دُعَاةِ الْجَدِيدِ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْاجْتِمَاعِ؛ فَلَهُ آرَاءٌ فِي الْاِخْتِلَاطِ، وَالْحِجَابِ، وَالتَّعْلِيمِ، وَالْحُرِّيَّةِ، وَالْحُبِّ وَالزَّوْاجِ؛ تَرَاهَا مُنْبَثَّةً فِي عَدِيدِ الْكُتُبِ وَالْمَقَالَاتِ؛ وَلَكِنْ قَلِيلًا مِنَ الْقُرَّاءِ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَهَا بِرُوحٍ مُجَرَّدَةٍ مِنْ هَوًى، لِيَعْرِفَ أَيَّ مَذْهَبٍ فِي الْاجْتِمَاعِ يَدْعُو إِلَيْهِ الرَّافِعِيُّ؛ وَلَهُ فِي هَذِهِ الْمَقَالَاتِ رُوحٌ رَفَاقَةٌ، وَشِعْرٌ سَاحِرٌ، وَحُجَّةٌ قَوِيَّةٌ؛ وَهُوَ فِيهَا مِنْ أَنْصَارِ الْمَرْأَةِ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ أَيْنَ يَكُونُ أَنْتِصَارُ الْمَرْأَةِ: وَلَسْتُ وَاجِدًا أَحَدًا يَرُدُّ عَلَيْهِ رَأْيَهُ فِي ذَاكَ عَلَى قِلَّةٍ مَنْ تَجِدُ مِنْ أَنْصَارِهِ؛ وَقَدْ جَلَسْتُ مَرَّةً إِلَى أَدِيبٍ كَبِيرٍ وَمُرَبِّ فَاضِلٍّ، نُداوِلُ الرَّأْيِ فِي آدَبِ الرَّافِعِيِّ وَمَذْهَبِهِ

الاجتماعي، فقال لي: «إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ أَحَدًا مِنْ أَنْصَارِ الْجَدِيدِ يَرْضَى هَذَا الْمَذْهَبَ، وَلَكِنَّكَ لَنْ تَجِدَ أَحَدًا - أَيْضًا - يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصَاوِلَ الرَّافِعِي فِي مِيدَانِهِ بِمِثْلِ حُجَّتِهِ وَقُوَّةِ إِقْنَاعِهِ...».

الرافعي والمرأة:

وَإِذْ تَكَلَّمْتُ عَنْ مَذْهَبِ الرَّافِعِي فِي الْجَمْعِ، فَإِنِّي أَقِفُ قَلِيلًا لِأَتَحَدَّثَ عَنِ الرَّافِعِيِّ وَالْمَرْأَةِ.

وَعَجِيبٌ أَنْ يَكُونَ الرَّافِعِيُّ صَاحِبُ «إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَأَسْرَارِ الْإِعْجَازِ، وَالبَلَاغَةِ النُّبَوِيَّةِ، وَالْإِنْسَانِيَّةِ الْعُلْيَا، وَسُمُومِ الْفَقْرِ؛ وَالمَحَدَّثِ، الْمَفْسَّرِ، الْمُتَصَوِّفِ، الَّذِي يَصِفُ عَنْ عَضْرِ النُّبُوَّةِ، وَمَجَالِسِ الْأَئِمَّةِ، وَكَأَنَّهُ يَعِيشُ فِي جَوْهَرِهِمْ وَيَنْقُلُ عَنْ حَدِيثِهِمْ؛ وَالَّذِي تَتَّصِلُ رُوحُهُ فِيمَا يَكْتُبُ مِنْ وَرَاءِ الْقُرُونِ بِرُوحِ الْعِرَالِيِّ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَغَيْرِهِمْ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَيْمَةِ السَّلَفِ - عَجِيبٌ أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّافِعِيُّ هُوَ صَاحِبُ «رَسَائِلِ الْأَحْزَانِ، وَالسَّحَابِ الْأَحْمَرِ، وَأَوْرَاقِ الْوَرْدِ، وَسُمُومِ الْحُبِّ، وَالْيَمَامَتَانِ، وَسِحْرِ الْمَرْأَةِ، وَالطَّائِثَةِ» وَغَيْرِهَا وَغَيْرِهَا؛ فَيَصِفُ عَنِ الْمَرْأَةِ وَالْحُبِّ، وَيَتَحَدَّثُ فِي ذَلِكَ حَدِيثَ الرَّجُلِ الَّذِي عَرَفَ وَذَاقَ وَجَرَّبَ، وَلَبَسَ الْمَرْأَةَ وَلَبِسَتْهُ، وَاسْتَبَدَلَ قَلْبًا بِقَلْبٍ، وَتَقَلَّبَ بَيْنَ مَجَالِسٍ وَمَجَالِسٍ، وَسَمِعَ (لَا) بِمَعْنَى (نَعَمْ)، وَ (إِلَيْكَ عَنِّي) فِي مَوْضِعِ (اتَّبَعْنِي يَا حَبِيبِي)؛

وَالَّذِي يُتَرَجِّمُ مَعْنَى النَّظَرِ والابتسامة وما بعدهما...!

وَإِنَّكَ لَتَرَاهُ أحياناً يَمْزُجُ بين حَدِيثِ الْحُبِّ وَحَدِيثِ الدِّينِ، وَيَصِلُ بين وَحْيِ السَّمَاءِ وَوَحْيِ الْعُيُونِ الدُّعْج... فتسأل: أَيُّ رَجُلٍ هُوَ؟.

ولقد خالطتهُ زماناً، فَإِنِّي لَأَعْرِفُهُ عَرَفَانِي لِنَفْسِي، فَمَا وَجَدْتُهُ فِي حَالِهِ إِلَّا الرَّجُلَ الْعَفَّ الْكَرِيمَ، وَلَكِنْ لَهُ عَالَمٌ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْعَالَمِ، يَصِلُ إِلَيْهِ فِي سَبَحَاتِ فِكْرِيَّةٍ لَطِيفَةٍ، لِيَسْتَوْحِيهِ مِنْ مَعَانِي الْمَرْأَةِ مَا لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ فِي دُنْيَا النَّاسِ. وَلَوْ أَنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَسْأَلَهُ مَرَّةً: أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ؟ لَمَا جَاءَكَ الْجَوَابُ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ وَحَسْبُ...!

وَتَسْأَلُ نَفْسَكَ: هَلْ عَرَفَ الرَّافِعِي الْحُبَّ فَخَفَّ بِجَنَاحَيْهِ إِلَى تِلْكَ الْعَوَالِمِ غَيْرِ الْمَنْظُورَةِ يَنْقُلُ عَنْهَا فِلْسَفَةَ الْجَمَالِ وَالْمَرْأَةِ وَالْحُبِّ...؟ فَاسْتَمِعْ إِلَيْهِ يُقَرِّرُ: «إِنَّ النَّابِغَةَ فِي الْأَدَبِ لَا يَتِمُّ تَمَامُهُ إِلَّا إِذَا أَحَبَّ وَعَشِقَ...!» ثُمَّ أَرْجَعَ إِلَى كُتُبِهِ الثَّلَاثَةِ: رَسَائِلَ الْأَحْزَانِ، وَالسَّحَابِ الْأَحْمَرِ، وَأَوْرَاقَ الْوَرْدِ؛ لِيَعْرِفَ «أَنَّهَا كَانَتْ عَوَاطِفَ ثَارَتْ وَقْتاً مَا، لِيَحْدُثَ مِنْهَا تَارِيخٌ؛ وَسَكَتَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لِيَحْدُثَ مِنْهَا شِعْرٌ وَكِتَابَةٌ...».

وَلَكِنْ، مَنْ تَكُونُ تِلْكَ الْفِتَانَةُ الَّتِي تَيَمَّمَهَا وَتَيَمَّمَتْهُ زَمَاناً،

«هي بِرُوعَتِهَا وَدَلَالِهَا وَسِحْرِهَا، وَهُوَ بِأَحْزَانِهِ وَقُوَّتِهِ
وَفَلَسَفَتِهِ...؟».

ذَلِكَ سِرُّهُ هُوَ، أَوْ سِرُّهَا هِيَ...!

وطنيته:

وَلِلرَّافِعِيِّ رَأْيٌ فِي مَعْنَى «الوطن الإسلامي»، والوطنية
الإسلامية؛ تَلَمَّحُهُ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَكْتُبُ، قَوَائِمُهُ «أَنْ يَظْهَرَ الْمُسْلِمُ
الْأَوَّلُ بِأَخْلَاقِهِ وَفَضَائِلِهِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا مَكَانَ إِنْسَانٍ هَذِهِ
الْبُقْعَةِ، لَا كَمَا نَرَى الْيَوْمَ؛ فَإِنَّ كُلَّ أَرْضٍ إِسْلَامِيَّةٍ يَكَادُ لَا يَظْهَرُ
فِيهَا إِلَّا إِنْسَانُهَا التَّارِيخِيُّ بِجَهْلِهِ وَخُرَافَاتِهِ وَمَا وَرَثَ مِنَ الْقَدَمِ،
فَهُنَا الْمُسْلِمُ الْفِرْعَوْنِيُّ، وَفِي نَاحِيَةِ الْمُسْلِمِ الْوَثْنِيُّ، وَفِي بَلَدِ
الْمُسْلِمِ الْمَجُوسِيُّ، وَفِي جِهَةِ الْمُسْلِمِ الْمُعْطَلُّ... وَمَا يَرِيدُ
الْإِسْلَامُ إِلَّا نَفْسَ الْمُسْلِمِ الْإِنْسَانِيِّ...».

فَلَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ إِلَى جَانِبِ إِحْسَاسِهِ بِمَعْنَى «الْمُضَرِّيَّةِ»
إِحْسَاسٌ آخَرُ بِمَعْنَى «الإسلامية» عَلَى أَنَّهَا الْوَطَنُ الْأَكْبَرُ، كَمَا
لَا يَمْنَعُ الطَّنْطَاوِي أَنْ يَكُونَ إِلَى جَانِبِ حُبِّهِ (طَنَطَا) حُبُّ أَعْمَقِ
يَشْمَلُ «مِصْرَ» كُلِّهَا؛ فَإِذَا تَحَدَّثَ الرَّافِعِيُّ عَنِ الشَّامِ، أَوْ الْعِرَاقِ،
أَوْ بُقْعَةٍ أُخْرَى مِنَ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ، فَمَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ
خَلَعَ مُضَرِّيَّتَهُ.

والوطن عند الهمجي دارُّ تُؤويه، وحقلٌ يُغلُّ عليه، وكلما زاد الإنسان في معنى الإنسانية انبسطت له رُقعة الوطن، فمن ثمَّ كان الوطن فيما يرى الإنسان المسلم هو كلُّ أرضٍ يخفق فيها لواء الإسلام، وما مضرُّ، والعراق، والشَّام، والمِغرب، وغيرها إلا أجزاء صغيرة من هذا الوطن الإسلاميِّ الأكبر، كالأقاليم من الدَّولة، والمناطق من الأقليم، والشوارع من المنطقة، والدُّور من الشارع، والغرفتين من الدار، حين يتدابر الأخوان وتدبُّ بَيْنَهما الشَّحناء التي توشكُ أن تُنسيهما أنهما أخوان لأبٍ وأمٍّ...!

٣

إيمانه:

والرافعيُّ رجلٌ مؤمنٌ إيمانَ فكرٍ وعقيدة، تُشرق على قلبه وعقله حقائق هذا الدين، فهي كأنما تأتيه تلمسُ في كتابه وشعره حياةً تكونُ بها في النَّاسِ معنى يُقدرون على فهمه، إذ لا يستطيعون أن يفهموه بأنفسهم، فمن ثمَّ تراه حين يكتب عن الدين يتدفَّق تدفُّقَ البحر، وتتدافع معانيه تدافع الموج، وتردِّجُ أفكاره ازدحام اللُّجة؛ ومن هنا نغمضُ معانيه على بعض من لم تُشرق حقائق هذا الدين على رُوحه وفكره.

وما سهلٌ أن تجدَ كاتباً غيرَ الرافعي يَكُتُبُ بهذا الأسلوبِ في هذه المعاني؛ فَإِنَّكَ لَتَرَى إيمانَ أَكْثَرِ مَنْ تَعْرِفُ، فِكْرَةً يَسْتَبِدُّ بِهَا الْعَقْلُ الْمُتَقَلِّبُ، فَهُوَ إيمانٌ مُتَقَلِّبٌ يَتَنَازَعُهُ الشَّكُّ، لَا يَأْخُذُ وَلَا يَدْعُ إِلَّا بِحَذَرٍ؛ أَوْ تَرَاهُ إيمانَ عَقِيدَةٍ مَوْرُوثَةٍ تَسْتَبِدُّ بِصَاحِبِهَا اسْتِبْدَادَ الْجَهْلِ وَالتَّقْلِيدِ، فَهُوَ إيمانٌ جامِدٌ، لَا يَأْخُذُ وَلَا يَدْعُ إِلَّا مَا أُرِيدَ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ وَأَنْ يَدْعَ. وَقَلَّما تَجِدُ غيرَ هَذَيْنِ مَنْ يُؤْمِنُ إيمانَ الْفِكْرِ وَالْعَقِيدَةِ معاً؛ وَلَوْ قَدْ وُجِدَ مَنْ يُؤْمِنُ هَذَا الْإِيمَانَ، لَرَأَيْتَ الْإِسْلَامَ يَنْبَعِثُ الْيَوْمَ كَأَوَّلِهِ، وَلِعَادَتِ الْمُعْجِزَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَكُتُبُ فَضْلاً جَدِيداً فِي تَارِيخِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

وَالرَّافِعِيُّ بِإِيمَانِهِ ذَلِكَ يَنْقَادُ لِلْمَقْدُورِ أَتْقِيَادَ الطَّاعَةِ، وَاثِقاً أَنْ لَا مَفَرَّ لِلْإِنْسَانِ مِمَّا قُدِرَ عَلَيْهِ؛ فَلَا تَرَاهُ يَتَبَرَّمُ أَوْ يَتَسَخَّطُ لِشَيْءٍ يَنَالُهُ، وَتَسْمَعُهُ يَقُولُ: «جِئْنَا إِلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ غَيْرَ مُخَيَّرِينَ، وَنَذْهَبُ غَيْرَ مُخَيَّرِينَ، إِنْ طَوْعاً وَإِنْ كَرْهاً؛ فَمُدَّ يَدَكَ بِالرَّضَى وَالْمَتَابَعَةِ لِلْأَقْدَارِ أَوْ أَنْزَعُهَا إِنْ شِئْتَ، فَإِنَّكَ عَلَى الطَّاعَةِ مَا أَنْتَ عَلَى الْكَرْهِ، وَعَلَى الرَّضَى مَا أَنْتَ عَلَى الْعُصْبِ؛ وَلَنْ تَعْرِفَ فِي مَذَاهِبِ الْقَدَرِ، إِذَا أَنْتَ أَقْبَلْتَ أَوْ أَدْبَرْتَ أَيْ وَجْهَيْكَ هُوَ الْوَجْهُ؛ فَقَدْ تَكُونُ مُقْبِلاً وَالْمَنْفَعَةُ مِنْ وَرَائِكَ، أَوْ مُدْبِراً وَالْمَنْفَعَةُ أَمَامَكَ، وَالْقَدَرُ مَعَ ذَلِكَ يَرْمِي بِكَ فِي الْجِهَتَيْنِ أَيُّهُمَا شَاءَ.

وَحَرِيٍّ بِمَنْ يُوقِنُ أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ بِذَاتِهِ، أَلَا يَشْكُ فِي أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ
لذَاتِهِ، وَإِنَّمَا هِيَ الْعَايَةُ الْمَقْدُورَةُ الْمُتَعَيَّنَةُ، فَلَا الْخَلْقُ يَتْرُكُونَكَ
لِنَفْسِكَ، وَلَا الْخَالِقُ تَارِكٌ نَفْسَكَ لَكَ...» فَمِنْ ثَمَّ تَرَى الرَّافِعِيَّ
دَائِمًا يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِالْعَدِّ وَيَرَاهُ خَيْرَ أَيَّامِهِ، فَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يَجْعَلَ
مِنْ كُلِّ أَلَمٍ يَنَالُهُ لَذَّةً يُشْعِرُ بِهَا نَفْسَهُ، وَمِنْ كُلِّ فَادِحَةٍ تَنَزُّلٌ بِهِ
خَيْرًا يَتَرَقَّبُهُ وَيُهَيِّئُ لَهُ، وَهُوَ يُفْصِحُ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي
مَقَالَاتِهِ: سُمُو الْفَقْرِ، وَحَدِيثُ قِطْنٍ، وَبَيْنَ خُرُوفَيْنِ، وَالانْتِحَارِ،
وَكِتَابِ الْمَسَاكِينِ؛ أَدَقُّ إِفْصَاحٍ وَأَبْلَغُهُ.

وَلَعَلَّ أَحَدًا لَا يَعْرِفُ أَنَّ الرَّافِعِيَّ لَا يَرَى فِي تِلْكَ الْعِلَّةِ
الَّتِي أَوْدَتْ بِسَمْعِهِ وَهُوَ غَلَامٌ بَعْدُ، إِلَّا نِعْمَةً هَيَّأَتْهُ لِهَذَا النُّبُوغِ
الْعَقْلِيِّ الَّذِي يُمْلِي بِهِ فِي تَارِيخِ الْأَدَبِ فَصْلًا لَمْ يُكْتَبْ مِثْلُهُ فِي
الْعَرَبِيَّةِ مِنْذُ قُرُونٍ. وَلَا شَيْءٌ غَيْرَ الْإِيمَانِ بِحِكْمَةِ الْقَدْرِ وَقَانُونِ
التَّعْوِيضِ، يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ أَقْوَى عَلَى مَكَافَحَةِ أَحْدَاثِ الزَّمَنِ،
فَلَا تَأْخُذُ مِنْهُ النِّوَازِلُ بِقَدْرِ مَا تُعْطِيهِ...

حياته الخاصة:

وَبَعْدُ، فَإِنَّا قَدْ رَأَيْتُ الرَّافِعِيَّ يَكْتُبُ، وَجَالَسْتُهُ وَهُوَ يُفَكِّرُ،
وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ لِيُمْلِيَ عَلَيَّ، وَصَحْبَتُهُ فِي عَدَوَاتِهِ وَرَوْحَاتِهِ،
وَأَشْرَكَنِي فِي مَطَالَعَاتِهِ، وَأَخَذَ مِنِّي وَأَعْطَانِي؛ فَمِنْ حَقِّ الْعَرَبِيَّةِ
عَلَيَّ أَنْ أَصِفَ بَعْضَ مَا أَسْتَطِيعُ مِمَّا رَأَيْتُ.

وَحَيَاةُ الرَّافِعِيِّ بَسِيطَةٌ كُلُّ الْبَسَاطَةِ؛ فَهُوَ فِي أَشْيَائِهِ بَعِيدٌ
 كُلُّ الْبُعْدِ عَنِ التَّائِقِ، وَلَا يَعْتَدُّ بِالْعُرْفِ اعْتِدَادًا كَبِيرًا. تَرَاهُ فِي
 الدِّيَوَانِ، وَفِي الْبَيْتِ، وَفِي الشَّارِعِ، وَفِي الْقَهْوَةِ - رَجُلًا كَبْعُضٍ
 مَنْ تَعْرِفُ. وَلَوْ أَنَّكَ ذَهَبْتَ إِلَيْهِ فِي الدِّيَوَانِ، وَرَأَيْتَهُ جَالِسًا إِلَى
 مَكْتَبِهِ، يُوقِعُ عَلَى هَذِهِ الْوَرَقَةِ، وَيَرَاغُجُ تِلْكَ الْحَسْبَةَ، وَيَحَادِثُ
 النَّاسَ وَيَحَادِثُونَهُ... لَشَكَّكَتَ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ الرَّافِعِيُّ؛ وَقَدْ
 يُمَيِّزُ مَكْتَبَهُ عَنِ مَكَاتِبِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُوظَّفِينَ بَضْعُ صُحُفٍ
 مَرْكُومَةٍ إِلَى جَانِبٍ، أَوْ كِتَابٌ جَدِيدٌ مُسْتَنَدٌ إِلَى كِتَابٍ، عَلَى أَنَّهُ
 فِي عَمَلِهِ مَعْرُوفٌ بِشِدَّتِهِ وَعُغْنُوَانِهِ، وَكَثْرَةِ ذَلَالِهِ أَيْضًا...!

وَفِي الْبَيْتِ قَلَّمَا تَجِدُ الرَّافِعِيَّ إِلَّا جَالِسًا إِلَى مَكْتَبِهِ مُطَالِعًا
 أَوْ كَاتِبًا، وَتَكَادُ غُرْفَةُ كُتُبِهِ أَنْ تَكُونَ كُلُّ نَصِيهِهِ مِنَ الدَّارِ... وَلَهُ
 صَبْرٌ عَجِيبٌ عَلَى الْعَمَلِ؛ فَهُوَ حِينَ يَجْلِسُ لِلْمُطَالَعَةِ قَدْ يَظَلُّ
 ثَمَانِي سَاعَاتٍ لَا يُزَايِلُ مَوْضِعَهُ. وَلَا يَسْهَرُ خَارِجَ الدَّارِ عَادَةً إِلَّا
 لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ، وَسَائِرُ لَيَالِيهِ عَمَلٌ مُسْتَمِرٌّ فِي الْكِتَابَةِ
 أَوْ الْمُطَالَعَةِ؛ وَيَنْدُرُ أَنْ يَأْوِيَ إِلَى فِرَاشِهِ لَيْلَةً قَبْلَ الثَّانِيَةِ عَشْرَةِ؛
 وَقَدْ كَانَ لَهُ عَنَانَةٌ كَبِيرَةٌ بِالرِّيَاضَةِ الْبَدَنِيَّةِ إِلَى عَهْدٍ قَرِيبٍ، وَهُوَ
 يَحَاوِلُ مُعْظَمَ تَمَرِينَاتِ (صَانَدُو) الرِّيَاضِيِّ الْمَشْهُورِ؛ وَتَرَى
 صُورَتَهُ قَرِيبَةً مِنْ مَكْتَبِهِ، إِلَى جَانِبِ صُورَةِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ، وَجَمَالِ
 الدِّينِ، وَ... وَمِلِكَةِ الْجَمَالِ التَّرَكِّيَّةِ كَرِيمَانَ هَانِمٍ خَالِصَ...!

وَهُوَ لِأَوْلَادِهِ أَخٌ كَبِيرٌ، لَا يَدْخُلُ أَحَدُهُمْ إِلَيْهِ فِي مَكْتَبِهِ لِأَمْرِ إِلَّا دَاعِبَهُ بِكَلِمَةٍ عَذْبَةٍ أَوْ إِشَارَةٍ لَطِيفَةٍ، وَلَكِنَّهُ قَلَّمَا يَدْخُلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا إِذَا دَعَاهُ، لِتَخْلُوَ لَهُ جَلُوتُهُ.

وَإِذَا أَرَادَ الرَّافِعِيُّ أَنْ يَسْهَرَ لَيْلَةً خَارِجَ الدَّارِ؛ فَلَيْسَ إِلَّا فِي السَّيْنِمَا أَوْ فِي الْقَهْوَةِ، وَذَهَابُهُ إِلَى السَّيْنِمَا عَمَلٌ أَدَبِيٌّ أَيْضًا... فَهُوَ لَا يَمِيلُ إِلَّا لِمَشَاهِدَةٍ نَوْعٍ خَاصٍّ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْفَنِّيَّةِ، يَكُونُ لَهُ مِنْهَا مَادَّةٌ وَحْيِي.

وَحَتَّى فِي الْقَهْوَةِ لَا يُرِيدُ أَنْ يُمْضِي وَقْتَهُ عَبَثًا؛ فَلَا بُدَّ مِنْ صُحُفٍ أَوْ كُتُبٍ أَوْ مَجَلَّاتٍ، يُمْضِي بِهَا الْوَقْتُ، أَوْ يَفْرُغُ مِنْهَا مَعَ الْوَقْتِ؛ فَتَرَاهُ مُكَبِّاً عَلَى كِتَابِهِ، وَفِي يَمِينِهِ قَلَمٌ يُشِيرُ بِهِ إِشَارَاتِهِ، وَفِي يَسَارِهِ لَيَّ الْكَرْكِرَةِ^(١)، وَفَمُهُ إِلَى فَمِهَا، يُبَادِلُهَا أَنْفَاسًا بِأَنْفَاسٍ... فَإِذَا فَرَّغَ مِنَ الْكِتَابِ وَمِنَ الْكَرْكِرَةِ أَقْبَلَ عَلَى جَلِيسِهِ بِحَدِيثٍ عَذْبٍ، أَكْثَرُهُ دُعَابَةٌ وَأَقْلُهُ هَزْلٌ... وَإِذَا أَرَدَتْ أَنْ تَسْتَمَعَ إِلَى الْجِدِّ الْهَازِلِ، أَوْ الْهَزْلِ الْجَادِّ، فَاجْلِسْ إِلَى الرَّافِعِيِّ لِحَظَاتٍ...

وَلِصَوْرَتِهِ رَنَّةٌ عَذْبَةٌ، كَانَتْ حُبْسَةً مِنْ مَرَضٍ فَعَادَتْ لَحْنًا

(١) الكركرة: النارجيلة (الشيخة) كما يُسمِّيها الرافعي، [ولَيَّ الْكَرْكِرَةِ: خرطوم النارجيلة].

من الموسيقى؛ فَأَنْتَ تُمَيِّزُ صَوْتَهُ بِلَهْجَتِهِ وَرَنِينِهِ بَيْنَ مِائَةِ
الْأَصْوَاتِ. وَلَوْ سَمِعْتَ الرَّافِعِيَّ خَطِيباً لَمَا حَسِبْتَهُ هُوَ الْوَاقِفُ
أَمَامَكَ يَخْطُبُ؛ فَإِنَّ صَوْتَهُ يَعْلُو وَيَعْلُو، وَيَمْتَدُّ اِمْتِدَادُهُ فِي
الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْكَ عَوْدَ الصَّدَى مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ،
أَرَنْ أَعَنْ مُنْدَفِعاً مُتَحَمِّساً يُنْسِيكَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ وَالنَّاسَ، فَإِذَا
أَنْتَ حَيْثُ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَكَ. وَلَكِنَّكَ مَعَ الْأَسْفِ قَلَّمَا تَسْمَعُهُ
خَطِيباً، لِأَنَّهُ يَجْهَدُ فِي الْخُطَابَةِ جُهْداً كَبِيراً يَبْلُغُ مِنْهُ. فَهُوَ لَا
يَخْطُبُ إِلَّا حِينَ يَدْعُو نَفْسَهُ أَوْ يَدْعُوهُ الْمَوْضُوعُ، فَيَحْمِلُ نَفْسَهُ
عَلَى مَا يَكْرَهُ... فَإِذَا دَعَوْتُهُ أَنْتَ أَنْكَرَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ خَطِيبٌ؛
وَمِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ يَعْرِفَ...؟.

وَفِي الرَّافِعِيِّ كَثِيرٌ مِنَ الْاِعْتِدَادِ بِالنَّفْسِ بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنَ
التَّوَاضُّعِ، وَلَا أَحْسَبُ أَحَداً يُؤْمِنُ بِاجْتِمَاعِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ فِيهِ
مِنْ جَلْسَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَدْ يَسْتَقْبِلُكَ لِأَوَّلِ مَا يَعْرِفُكَ بِدُعَابَةٍ أَوْ
نَادِرَةٍ، أَوْ يَنْصَرِفُ عَنْكَ إِلَى كِتَابِهِ، أَوْ يَقْبِلُ عَلَيْكَ فِي صَمْتٍ
وَأَنْتَ تَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ، أَوْ يَأْخُذُ عَلَيْكَ أَشْتَاتَ الْحَدِيثِ فَلَا يَدْعُ
لَكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ، فَتَنْصَرِفُ وَمَا عَرَفْتَ إِلَّا لَوْناً وَاحِداً مِنْ أَخْلَاقِهِ.
وَجُلَسَاءُ الرَّافِعِيِّ قَلِيلُونَ عَلَى كَثَرَةِ مَنْ يَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَهُ.

كيف يكتب؟

وهو حِينَ يَهْمُ أَنْ يَكْتُبَ، يَخْتَارُ مَوْضُوعَهُ، ثُمَّ يَتْرُكُهُ

لِلْفِكْرِ يَعْمَلُ فِيهِ عَمَلُهُ، وَلِلْوَاعِيَةِ الْبَاطِنَةِ أَنْ تُهَيِّئَ لَهُ مَادَّتَهُ،
وَيَدْعُهُ كَذَلِكَ وَقْتًا مَا، يَطُولُ أَوْ يَقْصُرُ، يُقَيِّدُ فِي أَثْنَائِهِ خَوَاطِرَهُ؛
لَا تَكَادُ تَقْلُتُ مِنْهُ خَاطِرَةٌ؛ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَسْتَمِدُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مَادَّةً وَحْيِي، فَكَأَنَّ فِي الْمَوْجُودِ الَّذِي يَرَاهُ صَوْتًا يَسْمَعُهُ، وَكَأَنَّ
لِمَا يَسْمَعُهُ لَوْنًا يَرَاهُ، وَكَأَنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ شَيْئًا زَائِدًا عَلَى
حَقِيقَتِهِ، يُمْلِي عَلَيْهِ مَعْنَى أَوْ رَأْيًا أَوْ فِكْرَةً.

فَإِذَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْخَوَاطِرِ قَدْرٌ كَافٍ، يَأْخُذُ فِي
تَرْتِيبِهَا مَعْنَى إِلَى مَعْنَى وَجُمْلَةً إِلَى جُمْلَةٍ، وَهَذِهِ هِيَ الْخَطُوطُ
مِنْ هَيْكَلِ الْمَقَالَةِ.

ثُمَّ هُوَ يَعُودُ إِلَى هَذِهِ الْخَوَاطِرِ الْمُرْتَبَةِ، يَنْظُرُ فِيهَا،
وَيُزَاجُ بَيْنَهَا، وَيَكْشِفُ عَمَّا وَرَاءَهَا مِنْ مَعَانٍ جَدِيدَةٍ وَفِكْرِ
جَدِيدٍ؛ وَلَا يَزَالُ هَكَذَا يُزَاجُ وَيَسْتَوْلِدُ، وَيَسْتَنْتِجُ مِنْ كُلِّ مَعْنَى
مَعْنَى، وَيَنْفَلِقُ لَهُ عَنْ كُلِّ رَأْيٍ رَأْيٌ، حَتَّى تَسْتَوِيَ لَهُ الْمَقَالَةُ
فِكْرَةً تَامَةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَيَكْتُبُهَا.

وَلَا تَرَاهُ حِينَ يَكْتُبُ أَوْ يُمْلِي يَنْظُرُ إِلَى أَصُولِ الْمَقَالَةِ
بِقَدْرِ مَا يَنْظُرُ فِي أَعْمَاقِ فِكْرِهِ إِلَى مَا يَتَّصِلُ بِمَعْنَى مَا يَكْتُبُ؛
فَقَدْ يَكُونُ الْمُمْلَى مِنْهُ صَفْحَةً أَوْ صَفْحَتَيْنِ، فَيُمْلِي صَفْحَاتٍ
وَصَفْحَاتٍ.

وَمَذْهَبُهُ فِي الْكِتَابَةِ إِعْطَاءُ الْعَرَبِيَّةِ أَكْبَرَ قِسْطٍ مِنَ الْمَعَانِي؛
فَهُوَ لَا يَكْتُبُ الْكِتَابَةَ الصَّحَافِيَّةَ السُّوقِيَّةَ، لَأَنَّ الْهَدَفَ الَّذِي يَرْمِي
إِلَيْهِ هُوَ أَنْ يُضِيفَ ثَرَوَةً جَيِّدَةً إِلَى اللُّغَةِ. وَلَنْ تَجِدَ كَاتِبًا غَيْرَ
الرَّافِعِيِّ يَجْهَدُ جُهْدَهُ فِيمَا يَكْتُبُ فَلَا يَحَاوِلُ مَرَّةً أَنْ يَسْخَرَ مِنْ
قُرَائِهِ أَوْ يُسَعِّدَ عَلَيْهِمْ لِيَمْلَأَ فَرَاغًا يُرِيدُ أَنْ يَمْتَلِيَّ.

وَمِيزَةُ أُخْرَى تَرَاهَا فِي كِتَابَةِ الرَّافِعِيِّ، هِيَ أَنَّهُ لَا يَنْحَرِفُ
مَرَّةً وَاحِدَةً عَنْ مَذْهَبِهِ فِي الْمَادَّةِ وَالْمَوْضُوعِ، فَهُوَ هُوَ مُنْذُ كَانَ
إِلَى الْيَوْمِ، لَمْ يَرْجِعْ عَنْ رَأْيِ رَأَاهُ، أَوْ يُنَاقِضَ نَفْسَهُ فِي مَنْهَجٍ
أَبْتَدَعَهُ، وَهَذَا بَعْضُ أَسْرَارِ الْإِيمَانِ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي لَمْ
يُغَالِطْ نَفْسَهُ قَطُّ.

وَلَهُ فِلْسَفَةٌ خَاصَّةٌ بِهِ، تَعْرِفُ فِيهَا طَابِعَهُ، وَخُلُقَهُ وَمِزَاجَهُ،
عَلَى حِينٍ تَرَى أَكْثَرَ فِلْسَفَةِ الْمُتَفَلْسِفِينَ مِنْ أَدْبَائِنَا مِزْقًا مُرَقَّعَةً
مِنْ آرَاءِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ... وَإِنِّي لِأَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَكْبَرَ مِنْ كُلِّ
فَيْلَسُوفٍ فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّهُمْ وَعَوْا فِي رُؤُوسِهِمْ آرَاءَ كُلِّ فِلَاسِفَةٍ
الْأَرْضِ... ثُمَّ لَمْ يَزِيدُوا...!

وَحَظُّ الرَّافِعِيِّ مِنْ لُغَةِ الْعَامَّةِ كَحَظِّهِ مِنَ الْفِرْنَسِيَّةِ.. فَأَكْثَرُ
لُغَتِهِ مِنَ الْكُتُبِ، وَقَدْ اسْتَعْنَى بِالْإِطْلَاعِ عَنِ الرِّوَايَةِ، وَبِالْقِرَاءَةِ
عَنِ الْمُدَارَسَةِ وَالِاسْتِمَاعِ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَدْ يَصْنَعُ أَغَانِي شُعْبِيَّةً
بَدِيعَةً، بِاللُّغَةِ الْعَالِيَةِ فِي بِلَاغَةِ الْعَامِّيَّةِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَنْحَرِفَ فِي

ذلك عن أسلوبه في البيان العربي وطريقته في توليد المعاني؛ ولعلّ قراء «الرسالة» لم يزالوا يذكرون له «أغنية الزبال» وتراه إذ يحاول أن يصنع شيئاً من ذلك يرجع إليّ لیسألني عن كلمة أو تعبير مما ينطق العامة؛ فأقوم حينئذٍ منه مقام قاموس العامة..

وهو مع ذلك لا يرى أكثر ما تكتب الصحف إلا عامية راقية... فهو يشكو دائماً الجوّ العامي الذي يحوطه، فكيف به لو كان يسمع لغو الناس...؟ ومن ثم لا يهّم الرافعي أن يكتب إلا حاول جاهداً أن يتخلص من هذا الجوّ الذي كان فيه، فيرجع إلى بعض كتب العربية يقرأ منها صفحات كما تتفق، ليعيش لحظة قبل الكتابة في بيئة عربية فصحة اللسان، وخير ما يقرأ في هذا الباب كتابات الجاحظ وأبن المقفع. وأحب الكتب إليه من بعد، كتاب «الأغاني» لأبي الفرج.

ولكتابة الرافعي جرس موسيقي خاص تميز به، حتى ما يُمليه على عجل بلا إعداد ولا توليد؛ وكثيراً ما يُملي بلا إعداد صفحات وصفحات، وقد أُملي عليّ مرة مقالاً طويلاً في الردّ على بعض الأدباء، استغرق تسعة أعمدية من صحيفة يومية، على حين لم يستغرق إملاؤه ساعات؛ ولعلّ تعبي في كتابته كان أكثر من تعبهِ في إملائهِ...!

وَالرَّافِعِيُّ عَلَى مَا يُبْدِعُ فِي كِتَابَتِهِ، لَا يَرَى مَا كَتَبَهُ يُرْضِيهِ
بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ بِسَاعَاتٍ، فَهُوَ دَائِمًا يَطْلُبُ الْأَعْلَى؛ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ
التَّوَاضُّعِ وَنَوْعٌ مِنَ الطُّمُوحِ فِي وَقْتٍ مَعًا...!

وَيَتَّهِمُ الرَّافِعِيُّ بِالْغُمُوضِ أَحْيَانًا؛ وَلَيْسَ ثَمَّةَ غُمُوضٍ فِيهَا
يَكْتُبُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ لَمْ يَتَزَوَّدْ مِنَ الْأَدَبِ الصَّحِيحِ، أَوْ يَتَعَوَّدُ
قِرَاءَةَ أَدَبِ الرَّافِعِيِّ؛ عَلَى أَنَّ كِتَابَتَهُ فِي مَجْمُوعِهَا لَا تَصِلُ إِلَى
نَفْسٍ قَارِئُهَا إِلَّا أَنْ يَقْرَأَهَا قِرَاءَةَ الشَّعْرِ، بِعَقْلِهِ وَرُوحِهِ، لَا قِرَاءَةَ
الْقِصَصِ وَالرَّوَايَاتِ، يُقَشِّشُ بَعَيْنَيْهِ بَيْنَ السُّطُورِ عَنْ مَعْنَى يُسَلِّيهِ،
أَوْ حَادِثَةٍ يُزْجِي بِهَا الْفَرَاغَ... وَنَصِيحَتِي إِلَى الَّذِينَ يَطْلُبُونَ
التَّسْلِيَةَ فِي الْأَدَبِ، أَلَّا يَقْرَءُوا كُتُبَ الرَّافِعِيِّ، فَإِنَّهَا لَنْ تُجِدِي
عَلَيْهِمْ شَيْئًا...!

وقد يَطْلُبُ إِلَيْهِ الْكَثِيرُ مِنْ نَاشِئَةِ الْأَدَبِ أَنْ يَجْعَلَ أَدَبَهُ
أَهْوَنَ مِمَّا هُوَ أَوْ أَقْلَ دَسْمًا، فَيَأْبَى أَنْ يَنْزِلَ إِلَى ذَاكَ؛ وَمَذْهَبُهُ
أَنْ يُحَاوَلَ جَذْبَ الْجُمْهُورِ إِلَى أَعْلَى، بَدَلًا أَنْ يَتَدَلَّى هُوَ إِلَى
الْجُمْهُورِ، وَأَنْ يَكْتُبَ مَا يُرْضِي الْفَنَّ لَا مَا يُرْضِي النَّاسَ. عَلَى
أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ الرَّافِعِيُّ أَنْ يَنْزِلَ لَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْزِلَ إِلَّا أَنْ يَصِيرَ
شَيْئًا غَيْرَ الرَّافِعِيِّ، لِأَنَّهُ عَلَى مِقْدَارِ غُمْقِ الْفِكْرَةِ، يَكُونُ غُمْقُ
الصُّورَةِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تَتَأَدَّى بِهَا، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ كَاتِبٌ مِنَ الْكُتَّابِ
- فِيمَا أَرَى - أَنْ يُرْضِيَ الْفَنَّ وَيُرْضِيَ الْجُمْهُورَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ،

حَتَّى لو كَانَ يَكْتُبُ بِلُغَةِ الْعَامَّةِ، فَإِنَّ الْكِتَابَةَ لُغَةٌ وَفِكْرٌ، أَفْتَرَاهُ
إِنْ كَتَبَ بِلُغَةِ الْعَامَّةِ، يَكْتُبُ أَيْضاً بِأَفْكَارِ الْعَامَّةِ...؟

وَقَدْ أَخَذَ الرَّافِعِيُّ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ عَامٍ يَكْتُبُ فِي «الرسالة»
نَوْعاً أَحْسَبُهُ جَدِيداً فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، جَمَعَ إِلَى الرَّافِعِيِّ طَائِفَةً
مِنَ الْقُرَّاءِ لَمْ يَكُونُوا يَقْرَءُونَ لَهُ، وَعَرَفَهُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا
يَعْرِفُونَهُ إِلَّا مِنْ خِلَالِ مَا يَكْتُبُ عَنْهُ خُصُومُهُ. وَلَا أَدَلَّ عَلَى
قِيَمَةِ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ، مِنْ تَرْجَمَةِ بَعْضِهَا إِلَى غَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ، عَلَى
مَا فِي تَرْجَمَةِ كِتَابَةِ الرَّافِعِيِّ مِنْ عُنفٍ وَمَشَقَّةٍ!

وَأَذْكُرُ أَنْ بَعْضَ الْمُسْتَشْرِقِينَ الْأَلْمَانِ يُعْنَى بِوَضْعِ كِتَابٍ
بِالْإِنْكِلِيزِيَّةِ عَنْ «رُؤُوسِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ» بِمَعَاوَنَةِ الْأَسْتَاذِ
طَاهِرِ الْخَمِيرِيِّ الْمَغْرِبِيِّ، وَقَدْ وَضَعَ الْجُزْءَ الْأَوَّلَ مِنْهُ عَنْ خَمْسَةِ
مِنْ كِبَارِ كُتَّابِنَا، فَلَمَّا قَرَأَ مَقَالَاتِ الْأَسْتَاذِ الرَّافِعِيِّ فِي «الرسالة»،
كَتَبَ إِلَيْهِ مُنْذُ قَرِيبِ رِسَالَةٍ طَوِيلَةٍ يُثْنِي عَلَيْهِ ثَنَاءً بِالْغَا، وَيَعِدُّهُ بِأَنْ
يُصَحِّحَ أَغْلَاطَهُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْكِتَابِ...!.

الرافعي القصصي:

لَمْ يَكُنِ الْأَسْتَاذُ الرَّافِعِيُّ مَعْرُوفاً بِكِتَابَةِ الْقِصَّةِ، حَتَّى
جَاءَتْ قِصَّتُهُ فِي «الرسالة» بُرْهَاناً عَلَى نَوْعٍ جَدِيدٍ مِنْ عِبْقَرِيَّتِهِ،
وَهُوَ يَرْوِي أَكْثَرَهَا عَنْ السَّلَفِ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَالْخُلَفَاءِ، فَمَا مَنَزَلَةُ

هذه القصص من الحقائق التاريخية؟... هذا سؤال أحسب الكثير من القراء ينتظر الجواب عنه؛ ذلك لأن كثيراً منهم لا يرى للرافعي فيها يداً إلا أن يجعلها لوقتها. وأي يد هذه..؟

وطريقة الرافعي في كتابة هذا القصص غريبة، فمُعظمه لا أساس له من الواقع، أو أن له أساساً لا يلهم هذه القصص الطوال البديعة في خيالها وموضوعها وقننها، وإنما هو يفكر في موضوع الحكمة التي يريد أن يلقيها على السنة التاريخ - على طريقته في تأليف مقالاته - فإذا انتهى إلى ذلك تناول كتاباً من كتب التراجم الكثيرة بين يديه، فيقرأ منه ما يتفق حتى يعثر باسم ما، فيدرس تاريخه، وبيئته، وخلاته، ومجالسه، ثم يصنع من ذلك قصة لا تزيد على سطور، يجعلها كالبدء والختام لموضوعه الذي أعدّه من قبل، وإنه ليلهم أحياناً ويوفق في ذلك توفيقاً عجيباً، حتى تأتي القصة وكأنها بنت التاريخ، وما للتاريخ فيها إلا سطور، أو إلا أسماء الرجال....

على أن وجه الإبداع في ذلك، هو قدرة الرافعي على أن يعيش بخياله في كل عصر من عصور التاريخ، فيحس إحساسه ويتكلم بلسان أهله، حتى لا يشك من يقرأها في أنها كلها صحيحة من الألف إلى الياء...

فلنزدنا الرافعي من هذا الباب ليعرف دعاة الجديد أي

رَجُلٍ هُوَ مِنْ رَجَالَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَا أَشْكُ أَنَّ هَذَا النُّوعَ مِنَ
الْأَدَبِ سَيَكُونُ لَهُ فَضْلٌ بِعنوانِهِ فِي تَارِيخِ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ.

أَرَانِي قَدْ أَطَلْتُ وَمَا اسْتَوْفَيْتُ، عَلَى أَنِّي مَا قَصَدْتُ إِلَى
دِرَاسَةِ الرَّافِعِيِّ، وَإِنَّمَا هُوَ إِمَامٌ سَرِيعٌ بِنَعَضِ جَوَانِبِهِ، عَلَى
مِقْدَارِ مَا يَتَهَيَّأُ فِي الذَّاكِرَةِ مِنَ الْخَوَاطِرِ لَوَقْتِهَا، فَمَعْذِرَةٌ، وَإِلَى
الْلِّقَاءِ بَعْدَ جَمَامٍ....

طنطا

محمد سعيد الغريان

كل ما صنف
هو المقالات الثلاثة
التي تكلم عنها الجاني
ص ١٣

أعلن صاحب مجلة «الرسالة» وفاة مصطفى صادق
الرافعي رحمه الله تعالى في أول عدد تلا هذه الوفاة، وهو
العدد: ٢٠٢، ٧ شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٦ هـ = ١٧ مايو / أيار
١٩٣٧م، السنة الخامسة، الصفحات: ٨٠١ - ٨٠٢.
أورد أولاً معلومات عن حياة أحمد حسن الزيات
رحمه الله تعالى، ثم أتبعها نص المقالة.

* * *

مصطفى
صادق الرافعي

بقلم:
أحمد حسن الزيات

التعريف

بأحمد حسن الزيّات^(١)

(١٣٠٢ - ١٣٨٨ هـ = ١٨٨٥ - ١٣/٦/١٩٦٨ م)

من هو - أديب مصري، كاتب، صحفي، ومربّ، وعَلِمَ من أعلام الأدب العربي وصاحب مدرسة أدبية كبرى هي مدرسة «الرسالة»، ولد في قرية من قرى مركز طلخا تسمى: كفير دميرة القديم بالقرب من المنصورة. تلقى علومه في الأزهر مدة ١٠ سنوات، فكان فيه أحد ثلاثة أقاموا مدرسة التمرد على القديم، هم: طه حسين - الزيّات - ومحمود زناتي، ثم انتقل إلى الجامعة المصرية القديمة فتلقى فيها العلوم الحديثة، ثم زاول التعليم بمدارس الفرير حيث تعلم الفرنسية، ودخل مدرسة الحقوق الفرنسية فدرس الحقوق، وأدى الامتحان النهائي بباريس. ثم انتقل من الفرير إلى المدرسة الإعدادية الثانوية، ثم عُيّن رئيساً لقسم اللغة العربية بالجامعة الأميركية في القاهرة. وفي سنة ١٩٢٩م، عُيّن أستاذاً للأدب العربي في دار المعلمين العليا في بغداد، وبعد ثلاث سنوات عاد إلى القاهرة حيث أصدر مجلة «الرسالة» سنة ١٩٣٢م، التي

(١) نقلاً عن «مصادر الدراسة الأدبية» ليوسف أسعد داغر، ٥٠٧/٣ -

ظلت تصدر مدى عشرين سنة. فكانت «الرسالة» خلال هذه الفترة، المجلة الأدبية الأولى في الشرق، هيأت جيلاً كاملاً من الأدباء، لها أثرها البعيد في تطوير الأدب العربي الحديث. وكان من أثر الزيّات في «الرسالة» أن خلق مدرسة جديدة في الأدب تُعنى باللفظ المؤنق والعبارة العالية. اشترك في تحريرها نخبة ممتازة من أقطاب الفكر والأدب والعلم فكان لها أثر فعال في نمو الحياة الفكرية في المشرق العربي، كما كانت مصدراً من مصادر اليقظة الوطنية.

كان عضواً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، كما كان عضواً في مجمع اللغة العربية والمجمع العربي بدمشق. كرّمته الدولة فأهدته عام ١٩٦٢م، جائزتها التقديرية في الأدب مع ميدالية ذهبية.

ساهم في تحرير كثير من المجلات والصحف الأدبية، منها «الجريدة» التي كان يصدرها أحمد لطفي السيد، ومجلة «مصر الفتاة» و «السياسة الأسبوعية»، وجريدة «الشعب»، ثم أشرف على تحرير مجلة «الأزهر» بعد وفاة فريد وجدي، وذلك من شهر صفر ١٣٧٢ هـ إلى شوال ١٣٧٤ هـ.

مؤلفاته:

- «آلام فرتر» (ترجمة عن غوته) - القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠م، ص ١٨١.

● نقده أحمد فتحي في الرسالة، مجلد ٨ (١٩٤٠ م): ١٣٧.

لدي - «تاريخ الأدب العربي» للمدارس الثانوية والعليا، طبعة
١ - القاهرة ١٩٢٧ م ط ٢ القاهرة، مطبعة الاعتماد، ص
٣١٣، ط ٤، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥ م، ص
٥٣٥.

نقده سليم الجندي في مجلة المجمع العلمي العربي
بدمشق، مجلد ١١ ص ٥٢٨ - ٥٣٨.

نقده في مجلة المجمع، مجلد ٧: ١٨٤.
نقده مصطفى جواد في لغة العرب (للأب أنستاس ماري
الكرملي - بغداد)، مجلد ٩: ٢٣١، و ٢٨٧ و ٣٦٧ و ٤٥٧ و
٦٠٩ و ٦٩٦.

- «دفاع عن البلاغة» - القاهرة، مطبعة مجلة الرسالة،
١٩٤٥ م، ص ١٦٤، (فيه عرض عام لآراء في الأدب والبلاغة
واتصالهما بحياتنا الأدبية المعاصرة).

نقده بنت الشاطيء في مجلة الكتاب، مجلد ١: ٣٦٩.
نقده أحمد فؤاد الأهواني في المقتطف، مجلد ١٠٧:
٣٨٠.

لدي - «في أصول الأدب»: محاضرات ومقالات في الأدب
العربي - القاهرة، ط ١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،
١٩٣٥ م، ص ٢١٨ - ط ٢، القاهرة، ١٩٤٦ م، ص ٢٤٢.
- «من الأدب الفرنسي: قصائد وأقاصيص لأمرء الشعراء
والنثر، لامرتين، هوغو، شاتوبريان، غي دو موباسان» - القاهرة،
مطبعة الرسالة، ١٩٤٠ م.

(-) «مأساة الشاعر وضاح». مثال من الإنشاء العالي... مما

جرى بين: محمد بهجة الأثري وأحمد حسن الزيّات - بغداد، مطبعة العهد، ١٩٣٥م، ص ٥٣.

- «محاضرات في الفلسفة»، تأليف أندريه لالند، ترجمة... ويوسف كرم - القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٢٩ م.

- «في ضوء القمر وقصص أخرى» - القاهرة، ١٩٦٢ م (مترجمة عن الفرنسية).

(ج) «ألوان من الأدب والتاريخ وقصص من حياتي» - القاهرة، ١٩٦٢ م.

- الرسالة. مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون، مجلد ٢١ - ١ (١٥/١/١٩٣٣ - ٢٣/٢/١٩٥٣م)، القاهرة، مطبعة الرسالة، ١٩٣٣ - ١٩٥٣ م.

- الرواية: مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ - القاهرة، سبتمبر ١٩٣٧ - ١٩٣٩ م (ظهرت ٣ سنوات).

- «وحي الرسالة. فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع»، ٣ مجلدات القاهرة، مطبعة الرسالة، ١٩٤٠ - ١٩٤٤ م. هو مختصر من مجلة الرسالة

راجع فيه كلمة جريدة «الأهرام» ومجلة «الشعلة» في الرسالة مجلد ٨. (١٩٤٠م): ٥٦.

نقده زكي مبارك في الرسالة، مجلد ٨ (١٩٤٠م): ٩١٥ و ١٧٠٤ - ١٧٠٨.

نقده إسماعيل أدهم في الرسالة، مجلد ٨: ٩٥٤.

- نقده توفيق الحكيم في الرسالة ٨ (١٩٤٠م): ٥٥٦.
- نقده المقتطف ٣/ ١٩٤٠، ج ٩٦، ص ٣٤٦.
- نقده مصطفى الصباحي في الرسالة ٨ (١٩٤٠م): ٢٣٩.
- نقده بشر فارس في الرسالة ٨: ٣١٩.
- نقده خليل مطران في الرسالة ٨: ١٥٧٠.

مصادر ومراجع:

- جمال الدين الألوسي - أحمد حسن الزيات، صاحب الرسالة - بغداد، ١٩٦٨ م.
- أنور الجندي - أضواء على حياة الأدباء المعاصرين: ٤ - ٥٤ (مصورة).
- هذا مذهبي: ٦١.
- خلدون الوهابي - مراجع تراجم الأدباء العرب ١: ٢٦٩.
- محمد خلف الله - من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده: ٢٣ و ١٥١.
- ماجد الأتاسي - الأخلاق والأدب الوجداني الرفيع في كتابي: آلام فرتز ورافائيل - الرسالة، عدد ٢٧٤: ١٦٢٥.
- محمد أمين حسونة - في الأدب المصري. أعلام المدرسة الحديثة. تراجم ودراسات أدبية مستفيضة - أحمد حسن الزيات - مجلة الحديث ٧: ٢٩٧.
- أحمد اللبان - مجلتنا «الرواية» و «الرسالة» في الغربال - المشكوف، عدد ١٢٢: ٧ وعدد ١٢٥: ١٢.

- الزيّات ولجنة إنهاض اللغة العربية - الرسالة عدد ٢٦٨ : ١٣٩٤، وعدد ٢٦٩ : ١٤٠.
- الأديب، تموز ١٩٦٨م، ص ٦١.
- جمال الدين الرمادي - أحمد حسن الزيّات صاحب مدرسة .
الرسالة - قافلة الزيت، عدد ١ سبتمبر - أكتوبر ١٩٦٨م، ص
١٧ - ١٨ (مصورة).
- مهدي علام - أحمد حسن الزيّات - مجلة معهد البحوث
والدراسات العربية (مصر) - العدد الأول ١٩٦٥م.

* * *

مصطفى صادق الرافعي

أحمد حسن الزيات

إلى

شَدِيدٌ عَلَى «الرَّسَالَةِ» أَنْ تَنْعَى الرَّافِعِيَّ إِلَى دِيَارِ الْحَنِيفَةِ
وَأَقْطَارِ الْعُرُوبَةِ بَدَلًا أَنْ تَرْفَّ إِلَيْهَا كَعَادَتِهَا دُرَّةً مِنْ غَوْصِ فِكْرِهِ
وَأَيَّةً مِنْ وَحْيِ قَلَمِهِ! وَعَزِيزٌ عَلَى هَذَا الْقَلَمِ أَنْ يَتَقَطَّرَ سَوَادُهُ
عَلَى الرَّافِعِيِّ وَهُوَ نُورُهُ فِي مِدَادِهِ، وَسَنَدُهُ فِي جِهَادِهِ، وَصَدِيقُهُ
فِي شِدَّتِهِ! وَعَظِيمٌ عَلَى الْعَالَمِ الْأَدَبِيِّ أَنْ يُرْزَأَ فِي الرَّافِعِيِّ وَهُوَ
الطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى لِغَايَةِ النَّاشِئِ، وَالْمَثَلُ الْأَسْمَى لِطُمُوحِ الْأَدِيبِ،
وَالْحُجَّةُ الْعُلْيَا عَلَى قُصُورِ الْقَاصِرِ!.

يَا لَلَّهِ!! أَفِي لَحْظَةٍ عَابِرَةٍ مِنْ صَبَاحِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْمَاضِي
يَلْفُظُ الرَّافِعِيُّ نَفْسَهُ فِي طَوَايَا الْعَيْبِ كَوْمُضَةٍ الْبَرَقِ لَفَّهَا اللَّيْلُ،
وَقَطْرَةَ النَّدى شَرِبَتْهَا الشَّمْسُ، وَوَرَقَةَ الشَّجَرِ أَطَاحَهَا الْخَرِيفُ؛
ثُمَّ لَا يَبْقَى مِنْ هَذَا الْقَلْبِ الْجَيَّاشِ، وَهَذَا الشُّعُورِ الْمُزْهَفِ،
وَذَلِكَ الذَّهْنِ الْوَلُودِ، إِلَّا كَمَا يَبْقَى مِنَ النُّورِ فِي الْعَيْنِ، وَمِنْ
السُّرُورِ فِي الْحَسِّ، وَمِنْ الْحُلَمِ فِي الذَّاكِرَةِ!!.

كَانَ الرَّافِعِيُّ يَكْرَهُ مَوْتَ الْعَافِيَةِ فَمَاتَ بِهِ: أَرْسَلَ إِلَيَّ قَبْلَ
مَوْتِهِ الْفَاجِيءِ بِسَاعَاتٍ كَتَابَهُ الْأَخِيرَ يَشْكُو فِيهِ بَعْضَ الْوَهْنِ فِي

أَعْصَابِهِ، وَأَثَرَ الرُّكُودِ فِي قَرِيحَتِهِ؛ وَيَقْتَرِحُ عَلَيَّ نِظَامًا جَدِيدًا لِلْعَمَلِ يَجِدُ فِيهِ الرَّاحَةَ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْمَعَاشِ فَيَقْصُرَ جُهِدُهُ عَلَى الْأَدَبِ؛ ثُمَّ يَسْرُدُ فِي إِيجَازِ عَزَائِمِهِ وَنَوَايَاهُ، وَيَعُدُّ الْمُسْتَقْبَلَ الْبَعِيدَ بِالْإِنْتِاجِ الْخَصْبِ وَالثَّمَرِ الْمُخْتَلِفِ؛ وَيَقُولُ: «إِنَّ بِنْيَتِي الْوَثِيقَةَ وَقَلْبِي الْقَوِي سَيَتَغَالِبَانِ عَلَى هَذَا الضَّعْفِ الطَّارِئِ فَأَضْمُدُ إِلَى حَمَلَةِ التَّطْهِيرِ الَّتِي أُرِيدُهَا...».

كَتَبَ الرَّافِعِيُّ إِلَيَّ هَذَا الْكِتَابَ فِي صَبَاحِ الْأَحَدِ، وَتَوَلَّى الْقَدْرُ عَنِّي الْجَوَابَ فِي صَبَاحِ الْاِثْنَيْنِ: فَضَى الصَّدِيقُ الْعَامِلُ الْأَمِلُ اللَّيْلَةَ الْفَاصِلَةَ بَيْنَ دَيْنِكَ الْيَوْمَيْنِ عَلَى خَيْرِ مَا يَقْضِيهَا الرَّخِيُّ الْأَمِينُ عَلَى صِحَّتِهِ وَغِبْطَتِهِ: صَلَّى الْعِشَاءَ فِي عِبَادَةِ وَلَدِهِ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ هُنَاكَ فَجَلَا عَنْهُمْ صَدَأَ الْفُتُورِ بِحَدِيثِهِ الْفَكِهِ وَمَرْجِهِ الْمُهَذَّبِ؛ ثُمَّ خَرَجَ فَقَضَى وَاجِبَ الْعَزَاءِ لِبَعْضِ الْجِيرَةِ؛ ثُمَّ ذَهَبَ وَحْدَهُ إِلَى مُتَنَزَّهِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَرَاضَ فِيهِ طَوِيلًا بِالْمَشْيِ وَالتَّأَمُّلِ؛ ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ مَوْهِنٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى دَارِهِ، فَأَكَلَ بَعْضَ الْأَكْلِ، ثُمَّ أَوَى إِلَى مَضْجَعِهِ.

وَفِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ اسْتَيْقَظَ، فَصَلَّى الْفَجَرَ وَهُوَ يَجِدُ فِي جَوْفِهِ حَزَّةً كَانَتْ تَعْتَادُهُ مِنْ حُمُوزَةِ الطَّعَامِ. فَلَمَّا فَرَّغَ، دَخَلَ عَلَى وَلَدِهِ الطَّبِيبِ، فَسَقَاهُ دَوَاءً، ثُمَّ عَادَ فَنَامَ. وَهَبَ مِنْ نَوْمِهِ فِي مُنْتَصَفِ السَّاعَةِ السَّابِعَةِ، وَخَرَجَ يُرِيدُ الْحَمَّامَ؛ فَسَقَطَ

وَاحْسَرَتَاهُ مِنْ دُونِهِ سَقَطَةً هَمَدَ فِيهَا جَسَدُهُ، فَلَا صَوْتَ وَلَا حَرَكَةً! وَذَهَبَ الرَّافِعِيُّ ذُو اللِّسَانِ الْجَبَّارِ وَالذِّكْرِ الدَّوَّارِ وَالْأَثَرِ الْمُنتَشِرِ، ذَهَابَ الْحُبَابِ، كَأَنَّهُ لَمْ يَمَلَأْ مَسَامِعَ الدَّهْرِ، وَلَمْ يَشْغَلْ مَدَارِكَ النَّاسِ زُهَاءً أَرْبَعِينَ سَنَةً!.

كَانَ آبَاءُ الرَّافِعِيِّ شُيُوخُ الْحَنَفِيَّةِ فِي مِصْرَ، تَوَلَّوْا قَضَاءَهَا وَإِفْتَاءَهَا وَإِقْرَاءَهَا حِقْبَةً طَوِيلَةً مِنَ الدَّهْرِ؛ فَدَرَجَ هَذَا النَّاشِئُ الصَّالِحُ فِي حُجُورِ أَرْبَعِينَ قَاضِيًا مِنْ قُضَاةِ الشَّرِيعَةِ كَانُوا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقَدْ نَوَّهَ بِهِمُ اللَّوردُ كُرُومَرُ فِي بَعْضِ تَقَارِيرِهِ. وَكَانَ أَبُوهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّازِقِ الرَّافِعِيُّ قَدْ جَرَى عَلَى أَغْرَاقِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ وَرَعَ الْقَلْبِ وَصِحَّةِ الدِّينِ وَسَلَامَةِ الضَّمِيرِ؛ ثُمَّ تَمَيَّزَ فِي قَضَائِهِ بِمَرَارَةِ الْحَقِّ وَصَلَابَةِ الرَّأْيِ وَثَبَاتِ الْعَقِيدَةِ، فَجَاءَ مُصْطَفَى فِي كُلِّ ذَلِكَ صُورَةً أُسْرَتِهِ وَسِرِّ أَبِيهِ.

لَمْ يَذْهَبِ الرَّافِعِيُّ إِلَى الْأَزْهَرِ، فَقَدْ كَانَ فِي أَزْهَرٍ مِنْ قَوْمِهِ؛ وَإِنَّمَا نَشَأَ فِي مَغْدَايَ وَمَرَاَحِي بَيْنَ طَلْخَا وَالْمَنْصُورَةِ أَفَنْدِيًا يَتَلَقَّى مَعَارِفَهُ الْأُولَى بِمَدْرَسَةِ الْفَرِيرِ، وَيَتَخَرَّجُ فِي عُلُومِ اللِّسَانِ وَالشَّرِيعَةِ عَلَى أَبِيهِ، حَتَّى حَذَقَ الْعَرَبِيَّةَ وَفَقَهُ الدِّينَ وَثَقَّفَ الْأَدَبَ وَأَصْبَحَ فَارِسًا فِي الْحَلَبَتَيْنِ وَلَمَّا يَعَدُّ الْعَشْرِينَ.

فَلَمَّا بَلَغَ رُبَيْعَ الْعُمُرِ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى سَمْعِهِ بِالصَّمَمِ الشَّدِيدِ، لَيْسَ فَكَانَ مُنْذُ شَبَابِهِ الْأَوَّلِ بِنَجْوَةٍ مِنْ لُغُو النَّاسِ وَلَغَطِ الْمَجْتَمَعِ،

فَسَلِمَ عَقْلُهُ مِنَ السُّخْفِ، وَبَرَى ذَوْقُهُ مِنَ التَّبَدُّلِ؛ وَعَاشَ فِي
عَالَمِ الْخِيَالِ وَدُنْيَا الْكُتُبِ، فَاتَّسَعَ أَفْقُ تَفْكِيرِهِ، وَأَرْتَفَعَ مِقْيَاسُ
فَنِّهِ، وَظَلَّتْ طَبِيعَتُهُ الْبَشَرِيَّةَ عَلَى الْكُهُولَةِ نَقِيَّةَ حُرَّةٍ كَطَبِيعَةِ الْفَتَى
الشَّابِلِ، فِيهَا الْغَضَبُ الْحَادُّ، وَالرِّضَى الْهَشُّ، وَالذَّلَالُ الْمُتَعَطِّمُ،
وَالهَوَى الْجَمُوحُ، وَالْفُتُوَّةُ الْأَيَّةُ. فَهُوَ يُخْلِصُ فِي الْحُبِّ وَيَصْدُقُ
فِي الْبُغْضِ، فَلَا يَدَاوِرُ وَلَا يُدَارِي، وَلَا يَحْقِدُ وَلَا يَحْسُدُ.

عَمِلْتُ فِي الرَّافِعِيِّ عَوَامِلُ الْوَرَاثَةِ وَالسِّيَةِ وَالِدِّرَاسَةِ
وَالْعَاهَةِ؛ وَاتَّفَقَ لَهُ مِنْ كُلِّ أَوْلَئِكَ مَا لَمْ يَتَّفَقْ لِغَيْرِهِ، فَكَانَ أَفْقَهُ
الْعُلَمَاءِ فِي دِينِهِ، وَأَعْلَمَ الْأَدْبَاءِ بِلُغَتِهِ، وَوَاحِدَ الْآحَادِ فِي فَنِّهِ.
وَالدِّينَ وَاللُّغَةَ وَالْأَدَبَ هِيَ عَنَاصِرُ شَخْصِيَّتِهِ وَرَوَافِدُ عَقْلِيَّتِهِ
وَطَوَائِعُ وُجُودِهِ. لِذَلِكَ كَانَ يَقْظُ الرَّأْيَ، شَاهِدَ الْحِسِّ لَمَّا يَعْلَقُ
بِثَلَاثَتِهَا مِنْ أَبَاطِيلَ وَشُبَّهِ. وَعَبَقْرِيَّاتُ الْمُصْطَفَى إِنَّمَا كَانَتْ تَنْزَلُ
عَلَى قَلَمِهِ الْمُرْسَلِ حِينَ تَمْتَدُّ الْأَفِيكَةُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ أَوْ إِلَى لُغَةِ
الْعَرَبِ أَوْ إِلَى أَدَبِ الرَّافِعِيِّ.

الرَّافِعِيُّ أُمَّةٌ وَحْدَهُ، لَهَا وُجُودُهَا الْمُسْتَقِيلُ، وَعَالَمُهَا
الْمُنْفَرِدُ، وَمَزَاجُهَا الْخَاصُّ. وَأَكْثَرُ الَّذِينَ كَرِهُوهُ هُمُ الَّذِينَ
جَهِلُوهُ: كَرِهَهُ الْأَدْبَاءُ لِأَنَّهُ أَصْحَرَ لَهُمْ بِالْخُصُومَةِ فَانْفَرَجَتْ
الْحَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ. وَكَرِهَهُ الْمُتَادِّبُونَ لِأَنَّهُ رَفَعَ مِقْيَاسَ الْأَدَبِ
فَوَسَمَهُمُ بِالْعَجْزِ عَنْهُ. وَأَنْكَرَهُ الْعَامَّةُ لِأَنَّ الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ

كَالْأَمْرِ بَيْنَ الْعَمَى وَالنُّورِ! إِنَّمَا يُحِبُّ الرَّافِعِيُّ وَيَبْكِيهِ مَنْ عَرَفَ
وَحْيَ اللَّهِ فِي قُرْآنِهِ، وَفَهُمْ إِعْجَازَ الْفَنِّ فِي بَيَانِهِ، وَأَدْرَكَ سِرَّ
الْعَقِيدَةِ فِي إِيمَانِهِ.

ذَلِكَ بَعْضُ الرَّافِعِيِّ الْإِنْسَانِ؛ أَمَّا الرَّافِعِيُّ الْفَنَّانُ فَمَوْعِدُكَ
بِهِ خُمُودُ الْحُزْنِ وَأَنْكَسَارُ الْمُصِيبَةِ.

أحمد حسن الزيات

* * *

بَعْدَ الْمَوْتِ

مَاذَا أُرِيدُ أَنْ يُقَالَ عَنِّي؟

بقلم:
مصطفى صادق الرافعي

بَعْدَ الْمَوْتِ مَاذَا أُرِيدُ أَنْ يُقَالَ عَنِّي؟

بقلم المرحوم الأستاذ

مصطفى صادق الرافعي (*)

سأله محررُ «الدُّنيا» منذُ شهرَيْنِ هذا السؤال، فَكَتَبَ إِلَيْهِ
هذا المقال:

ما هي الكلماتُ الَّتِي تُقَالُ عَنِ الْحَيِّ بعدَ مَوْتِهِ إِلَّا تَرْجَمَةٌ
أَعْمَالِهِ فِي كَلِمَاتٍ؟ فَمَنْ عَرَفَ حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ عَرَفَ أَنَّهُ فِيهَا
لِيُهِئَ لِنَفْسِهِ مَا يُحْسِنُ أَنْ يَأْخُذَهُ، وَيُعِدَّ لِلنَّاسِ مَا يَحْسُنُ أَنْ
يَتْرُكَهُ، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ أَشْيَاءَ حَقِيقَةً لَهَا صُورُهَا الْمَوْجُودَةُ وَإِنْ
كَانَتْ لَا تُرَى.

وَبَعْدَ الْمَوْتِ يَقُولُ النَّاسُ أَقْوَالَ ضَمَائِرِهِمْ لَا أَقْوَالَ
الْأَسْتِثْمِ، إِذْ تَنْقَطِعُ مَادَّةُ الْعَدَاوَةِ بِذَهَابِ مَنْ كَانَ عَدُوًّا، وَتَخْلُصُ
مَعَانِي الصَّدَاقَةِ بِفَقْدِ الصَّدِيقِ، وَيَرْتَفِعُ الْحَسَدُ بِمَوْتِ الْمَحْسُودِ،
وَتَبْطُلُ الْمَجَامِلَةُ بِاخْتِفَاءِ مَنْ يَجَامِلُونَهُ وَتَبْقَى الْأَعْمَالُ تُنْبِئُ إِلَى

(*) نُشِرَ فِي «الرَّسَالَةِ» الْعِدَد: ٢٠٣، ١٤ شَهْر ربيع الأول سنة ١٣٥٦ هـ

= ٢٤ مايو/أيار سنة ١٩٣٧ م، السنة الخامسة، الصفحة: ٨٦٢.

قِيَمَةٌ عَامِلِهَا، وَيُفْرَغُ الْمَكَانُ فَيَدُلُّ عَلَى قَدْرِ مَنْ كَانَ فِيهِ، وَيَنْتَزِعُ مِنَ الزَّمَنِ لَيْلَ الْمَيِّتِ وَنَهَارَهُ، فَيَذْهَبُ أَسْمُهُ عَنْ شَخْصِهِ وَيَبْقَى عَلَى أَعْمَالِهِ.

وَمِنْ هُنَا كَانَ الْمَوْتُ أَصْدَقَ وَأَتَمَّ مَا يُعْرِفُ النَّاسَ بِالنَّاسِ، وَكَانَتِ الْكَلِمَةُ بَعْدَهُ عَنِ الْمَيِّتِ خَالِصَةً مُصَفَّاءَةً لَا يَشُوْبُهَا كَذِبُ الدُّنْيَا عَلَى إِنْسَانِهَا، وَلَا كَذِبُ الْإِنْسَانِ عَلَى دُنْيَاهُ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي لَا تُقَالُ إِلَّا فِي النَّهَائِيَةِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَجِيءُ وَفِيهَا نَهَائِيَّةٌ مَا تُضْمِرُ النَّفْسُ لِلنَّفْسِ.

وماذا يَقُولُونَ الْيَوْمَ عَنْ هَذَا الضَّعِيفِ؟ وماذا تَكْتُبُ الصُّحُفُ؟.

هذه كلماتٌ مِنْ أَقْوَالِهِمْ: حُجَّةُ الْعَرَبِ، مُؤَيَّدُ الدِّينِ، حَارِسُ لُغَةِ الْقُرْآنِ، صَدْرُ الْبَيَانِ الْعَرَبِيِّ، الْأَدِيبُ الْإِمَامُ، مُعْجَزَةُ الْأَدَبِ؛ إِلَى آخِرِ مَا يَطَّرِدُ فِي هَذَا النَّسَقِ، وَيَنْطَوِي فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ. فَسَيُقَالُ هَذَا كُلُّهُ، وَلَكِنْ بِاللَّهْفَةِ لَا بِالِإِعْجَابِ، وَلِلتَّارِيخِ لَا لِلتَّقْرِيطِ، وَلِمَنْفَعَةِ الْأَدَبِ لَا لِمَنْفَعَةِ الْأَدِيبِ. ثُمَّ لَا يَكُونُ كَلَامًا كَالَّذِي يُقَالُ عَلَى الْأَرْضِ يَتَغَيَّرُ وَيَتَبَدَّلُ، بَلْ كَلَامًا خَتِمَ عَلَيْهِ بِالْخَاتَمِ الْأَبَدِيِّ، وَكَأَنَّمَا مَاتَ قَائِلُوهُ كَمَا مَاتَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ.

أَمَّا أَنَا، فَمَاذَا تَرَى رُوحِي وَهِيَ فِي الْغَمَامِ وَقَدْ أَصْبَحَ
الشَّيْءُ عِنْدَهَا لَا يُسَمَّى شَيْئًا؟ إِنَّهَا سَتَرَى هَذِهِ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا
فَارِعَةً مِنَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ، لَا تَفْهَمُ مِنْهَا شَيْئًا
إِلَّا مَعْنَى وَاحِدًا هُوَ حَرَكَةُ نَفْسِ الْقَائِلِ، وَخَفَقَةُ ضَمِيرِهِ. فَشُعُورُ
الْقَلْبِ الْمُتَأَثِّرِ هُوَ وَخُذْهُ. اللَّغَةُ الْمَفْهُومَةُ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ.

سَتَرَى رُوحِي أَنَّ هَؤُلَاءِ النَّاسَ جَمِيعًا كَالْأَشْجَارِ الْمُتَبَعِّثَةِ
مِنَ التَّرَابِ عَالِيَةً فَوْقَهُ وَثَابِتَةً فِيهِ، وَسَتَبْحَثُ مِنْهُمْ لَا عَنْ
الْجُذُوعِ وَالْأَغْصَانِ وَالْأَوْرَاقِ وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، بَلْ عَنْ شَيْءٍ
وَاحِدٍ هُوَ هَذِهِ الثَّمَرَةُ السَّمَاوِيَّةُ الْمُسَمَّاءُ الْقَلْبُ، وَكُلُّ كَلِمَةٍ دَعَاءٍ
وَكَلِمَةٍ تَرْحُمٍ وَكَلِمَةٍ خَيْرٍ. ذَلِكَ هُوَ مَا تَذُوقُهُ الرُّوحُ مِنْ حَلَاوَةِ
هَذِهِ الثَّمَرَةِ.

مصطفى صادق الرافعي

* * *

مِنْ كَلَامِ الرَّافِعِيِّ (*)

قِيلَ لَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَلْ تَكْرَهُ الْمَوْتَ؟

فَقَالَ: لَا! بَلْ أَكْرَهُ ذُنُوبِي، أَمَّا الْمَوْتُ فَهُوَ اكْتِشَافُ الْعَالَمِ الْأَكْبَرِ، نَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ.

وَقِيلَ لَهُ: مَا هِيَ وَصِيَّتُكَ إِذَا حَضَرَتْكَ الْوَفَاةُ؟

فَقَالَ: هِيَ تَكَرُّرُ الْمَبْدَأِ الَّذِي وَضَعْتُهُ لِأَوْلَادِي:

النَّجَاجُ لَا يَنْفَعُنَا بَلْ يَنْفَعُنَا الْإِمْتِيَازُ فِي النَّجَاحِ.

(*) نُشِرَ فِي «الرسالة» العدد: ٢٠٣، ١٤ شهر ربيع الأول سنة

١٣٥٦هـ = ٢٤ مايو/أيار سنة ١٩٣٧م، السنة الخامسة، الصفحة

كَلِمَةٌ وَكَلِيمَةٌ

لِلأَسْتَاذِ

مُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِعِيِّ

١

١ - نحن من التَّنْظِيرِ بَيْنَ الْمَدَنِيَّتَيْنِ الْأُورُبِّيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ،
كَأَنَّا بِإِزَاءِ جَوَادَيْنِ، أَحَدُهُمَا مُخَلَّى لَهُ الطَّرِيقُ إِلَى غَايَتِهِ، وَالْآخَرُ
يُضْرَبُ وَجْهُهُ مَرَّةً وَيُصْرَفُ بِالْعَوَائِقِ مَرَّةً؛ وَمَعَ ذَلِكَ يُقَابَلُ بَيْنَهُمَا
فِي السَّبَاقِ! لَوْ حَكَمَ الشَّرْقُ أُورُبَةَ لَظَهَرَ جَوَادُهَا حِمَارًا..

* * *

٢ - أَرْبَعَةُ آلَافِ كَلِمَةٍ فِي الثَّرَثَرَةِ، أَقَلُّ مِنْ أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ
فِي الْحِكْمَةِ.

* * *

٣ - لَا تَغْضَبْ مِنْ حِمَاةِ أَمْرَأَةٍ تُحِبُّهَا، وَلَا تَغْضَبِي مِنْ
حِمَاةِ رَجُلٍ تُحِبِّينَهُ، وَإِلَّا فَأَيْنَ تَدُسُّ الْحَيَاةُ سُمَّهَا إِلَّا فِي أَلَدِّ
أَطْعَمَتِهَا؟.

* * *

④ - يَمُوتُ الْحَيُّ شَيْئًا فَشَيْئًا؛ وَحِينَ لَا يَبْقَى فِيهِ مَا
يَمُوتُ، يُقَالُ: مَاتَ...

* * *

٥ - قَصَّتِ الحِياهُ أَنَّ يَكُونَ النَّصْرُ لِمَنْ يَحْتَمِلُ الضَّرَبَاتِ
لَا لِمَنْ يَضْرِبُهَا.

* * *

٦ - غَلَبَ رَجُلٌ عَلَى امْرَأَةٍ كَانَتْ تَهْوَاهُ وَجَعَلَ يُبَاهِي بِمَا
صَنَعَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا! إِنَّ مِنْ السُّخْرِيَةِ أَنْ تَزْعُمَ أَنَّكَ تَعْبَتُ
فِي فَتْحِ بَابٍ مَفْتُوحٍ...

* * *

٧ - حَتَّى الْإِرَادَةِ؛ هِيَ فِي الذُّكُورِ مُذَكَّرَةٌ، وَفِي الْأُنْثَى
مُؤَنَّثَةٌ؛ فَعِنْدَمَا يَغْلِبُ سِحْرُ الْحَقِيقَةِ الَّتِي فِي الرَّجُلِ عَلَى الْحَقِيقَةِ
الَّتِي فِي الْمَرْأَةِ، تَلْتَمِسُ الْمَرْأَةُ إِرَادَتَهَا لَتَعُودَ بِهَا فَلَا تَجِدُهَا إِلَّا
صُورَةً.. فَإِذَا امْتَنَعَتْ كَانَتْ فِي صُورَةٍ امْتِنَاعٍ عَلَى اسْتِجَابَةٍ، وَإِذَا
غَضِبَتْ كَانَتْ فِي صُورَةٍ غَضَبٍ عَلَى رِضَى. وَلِهَذَا مَا يَكْرَهُ
بَعْضُهُنَّ الْحِجَابَ فَإِنَّهُ يُذَكِّرُهُنَّ تَأْنِيثَ الْإِرَادَةِ وَيُبْعِدُهُنَّ
وَيُحَذِّرُهُنَّ؛ وَيَا شَوْمَ مَنْ إِذَا نَجَتْ مِنْ ذَلِكَ الْخَطَرِ نَجَتْ
كَارِهَةً...

* * *

٨ - هُنَاكَ حُبٌّ يَسْمُو وَلَا يَزَالُ يَسْمُو؛ إِذْ يَكُونُ
الْمُحِبُّ فِيهِ مَعَ الْمُحِبِّ كَالْتَّرْجُمَانِ مَعَ السَّائِحِ؛ ذَلِكَ حُبٌّ
بَعْضِ الشَّعْرَاءِ لِبَعْضِ الْأَجْسَامِ الْمُتَرْجِمَةِ.

* * *

٩ - تكون الأمانِي مَرَّةً كَسَبَ أفكارنا ومَرَّةً لصوصِيَّةَ أفكارنا!....

١٠ - يَنْفُرُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْكَلِمَةِ الَّتِي تَحْكُمُهُ، وَلَكِنَّهُ فِي الْحُبِّ لَا يَبْحَثُ إِلَّا عَنِ الْكَلِمَةِ الَّتِي تَحْكُمُهُ.

(١١) - مَنْ خُلِقَ بَطْلًا فَلَا عَجَبَ أَنْ تُوجَدَ لَهُ الْأَقْدَارُ دَائِمًا مِنْ كُلِّ مَا حَوْلَهُ مَادَّةَ حَرْبٍ، مِئَةٌ مِنْ مِئَةٍ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَكُونُ مِئَةٌ مِنْ مِئَةٍ فِي النَّجَاحِ؛ وَلَكِنْ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ مِنَ الْمِئَةِ فِي التَّوَكُّلِ لَا تَكُونُ إِلَّا خِيَّةً مُحَقَّقَةً.

١٢ - هَلْ أَسْتَطِيعُ أَبْتِهَا الْجَمِيلَةَ السَّودَاءُ أَنْ أَقُولَ فِي وَصْفِ خَدَيْكَ: إِنَّهُمَا فِي حُمْرَةِ الْوَرْدِ؟ فَلَمَّاذَا تَغْضِبِينَ إِذَا قُلْتُ: إِنَّهُمَا فِي التَّمَاعِ الزَّيْتُونِ الْأَسْوَدِ..؟ وَأَنْتِ أَبْتِهَا الْحَسَنَاءُ الْمُتَكَبِّرَةُ السَّخِيفَةُ! لَمَّاذَا تَغْضِبِينَ إِذَا رَأَيْتُ فِي قَلْبِكَ الزَّيْتُونَ وَلَمْ أَرِ الْوَرْدَ؟.

١٣ - فِي بَعْضِ أَحْوَالِ الْحُبِّ، تَكُونُ الْعَوَاطِفُ الْمُحِبَّةُ لَكَ فِي الْبَاطِنِ هِيَ الْمَعَادِيَةِ لَكَ فِي الظَّاهِرِ.

١٤ - لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ بِشَعُورِ غَيْرِهِ؛ وَطَبِيعِي أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ السَّعَادَةَ مُمَكِّنَةً فِي النَّاسِ؛ وَلَكِنَّ الْعَجِيبَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُهَا غَيْرَ مُمَكِّنَةٍ، إِذْ لَا يَرِيدُ كُلُّ إِنْسَانٍ لِنَفْسِهِ إِلَّا شَعُورَ غَيْرِهِ.

* * *

١٥ - النَّاسُ يَزَاحِمُونَ فِي الدُّنْيَا لِأَجْسَامِهِمْ، فَإِذَا بُوُسُوا وَإِذَا سَعَادَتُوا، وَالْحُكَمَاءُ وَالْمُحِبُّونَ يَزَاحِمُونَ لِأَرْوَاحِهِمْ، فَإِذَا بُوَسَانِ وَإِذَا سَعَادَتَانِ.

* * *

١٦ - مَا أَظَرَفَهَا كَانَتْ وَأَبْلَغَهَا حِينَ قَالَتْ لِي: أَلَا تَنْظُرُ ثَانِيًا فَتَفْهَمُ ثَالِثًا...؟.

* * *

١٧ - يُخَيِّلُ إِلَيَّ وَاللَّهِ أَنَّ قَلْبَ الْمَرْأَةِ أَمْرَأَةٌ مَعَهَا؛ فَإِذَا أَنْ تَأْخُذَهَا نَكْبَتَيْنِ أَوْ مَعُونَتَيْنِ.

* * *

١٨ - فَلَسَفَتِي أَنَّ الْكِبْرِيَاءَ عَلَى الْمُتَكَبِّرِينَ هُوَ أَعْلَى التَّوَاضُّعِ.

* * *

١٩ - مصادفةُ التَّعَسِ حَظًّا تحتاجُ في اتِّفاقها إلى مصادفةٍ

تجيءُ بها.

٢٠ - تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ نَابِغَةٍ عَظِيمٍ: إِنَّهُ أَذْكَى

الْبُلْدَاءِ.. فَإِنْ كَذَّبَكَ النَّاسُ لَمْ يُكَذِّبَكَ هُوَ.

(٢١) - الْمُوَدَّةُ الْقَوِيَّةُ تَحْمَلُ الْعِتَابَ وَالْمَحَاسِبَةَ لِتُنْبِتَ أَهْلاً

قَوِيَّةً.

٢٢ - الْحَبُّ يُخْرِجُ مِنْ نَفْسِكَ شَخْصاً غَيْرَكَ، وَالْبُغْضُ

يُخْرِجُ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ غَيْرَهُ، فَتُحِبُّ بِنَفْسَيْنِ وَتُبْغِضُ بِثَلَاثٍ.

(٢٣) - إِنْ رَضِيَ الْمُحِبُّ قَالَ فِي الْحَبِيبِ أَحْسَنَ مَا

يَعْرِفُ، وَمَا لَا يَعْرِفُ؛ وَإِنْ غَضِبَ قَالَ فِيهِ أَسْوَأَ مَا يَعْرِفُ، وَمَا

لَا يَعْرِفُ، وَمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِفَ.

(٢٤) - إِذَا رَأَيْتَ كِبْرَاءَ قَوْمٍ هَمُّهُمْ عَيْشُهُمْ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهَا أُمَّةٌ

مَأْكُولَةٌ. فَلَوْ شَهَرَتِ السَّيْفَ الْمَاضِي لِقَاتِلِ بَرُوحٍ مِلْعَقَةٍ.. وَلَوْ

رَعَدَتْ بِالْأَسْطُولِ الْجَبَّارِ لَصَلَّصَ كَأَيَّةِ الْمَطْبَخِ...

٢٥ - لم تَعُدِ التَّربِيَةُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ تَرْبِيَةً لِلنَّاسِ وَلَكِنْ
لِلْمَطَامِعِ؛ فَمَا يَكْبُرُ جِيلٌ إِلَّا كَبُرَتْ مَعَهُ الْحَرْبُ...

* * *

٢٦ - يُرَادُ مِنَ التَّجْمِيلِ الصَّنَاعِي حِينَ تُبَالِغُ فِيهِ الْمَرْأَةُ أَنْ
يَخْفَ فَيَقْتُلُ؛ وَيُرَادُ مِنَ الْجَمَالِ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَخْفَ فَيَزِدَادُ خِفَةً...

* * *

(٢٧) - مِنَ النِّسَاءِ مَنْ إِذَا رَأَيْتَهَا حَسِبْتَ رُوحَهَا زُجَاجَةً
مُلِئَتْ عِطْرًا؛ وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا رَأَيْتَهَا حَسِبْتَ رُوحَهَا زُجَاجَةً مُلِئَتْ
زَيْتَ خُرُوعٍ....

* * *

٢٨ - أَوَّلُ فَلَسَفَةِ الشَّرِيعَةِ فِي الزَّوْاجِ أَنَّهُ حَضَرُ الْمَعَانِي
الْبَهِيمِيَّةِ مِنْ كُلِّ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ فِي الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ بَذَاتِيهِمَا. فَأَخِرُ
فَلَسَفَةِ الشَّرِيعَةِ فِي الزَّوْاجِ أَنَّهُ إِذَا عَمَّ وَأَنْتَظَمَ تَرَاجَعَتْ بَهِيمِيَّةُ
الْعَالَمِ فَصَغُرَتْ وَصَغُرَتْ حَتَّى تَكُونَ كَأَنَّهَا فِي اثْنَيْنِ فَقَطْ...

* * *

٢٩ - إِذَا سَأَلْتَ السِّيَاسِيَّ الدَّاهِيَّةَ فَسَكَتَ عَنِ الْجَوَابِ،
فَقَدْ قَالَ لَكَ قَوْلًا...

* * *

٣٠ - مَنْ لَا يَمْلِكُ عَلَى الْأَرْضِ شَيْئاً يَمْلِكُ عَلَى الْأَقْلِّ
أَنْ يَفْرَحَ وَأَنْ يَحْزَنَ...

٣١ - مَاتَ وَأَصْبَحَ كَأَنْ لَمْ يُوجَدْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ وُجِدَ،
وَمَعَ ذَلِكَ فَكَأَنْ لَمْ يُوجَدْ. إِنْ خَرَجَ مِنْ هَذَا التَّرَكِيبِ الْمَنْطِقِيِّ
مَعْنَى يَثْبِتُ فِي الْفَهْمِ، كَانَ لِلْحَيَاةِ فِي الْفَهْمِ مَعْنَى ثَابِتٌ...

٣٢ - أَيَا غَاضِباً مِنْ صُرُوفِ الْقَضَا
بِنَفْسِكَ تَعْنُفُ لَا بِالْقَدَرِ
- وَيَا ضَارِباً صَخْرَةً بِالْعَصَا
ضَرَبْتَ الْعَصَا أَمْ ضَرَبْتَ الْحَجَرَ؟

٢

٣٣ - رُبَّ قَانُونٍ تُحَكِّمُ بِهِ أُمَّةٌ؛ وَلَوْ أَنَّهُمْ حَاكُمُوهُ
لَا عَتَبُوهُ كَالشُّرُوعِ فِي قَتْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

٣٤ - إِذَا كَانَ الْقَاضِي صَاحِبَ دِينٍ وَذِكَاةٍ وَفَهْمٍ وَضَمِيرٍ؛
فكَثِيراً مَا يَرَى نَفْسَهُ مَحْكُوماً عَلَيْهِ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى النَّاسِ...

٣٥ - أَصْبَحَتِ الْأَخْلَاقُ الشَّرْقِيَّةُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْفَاسِدَةَ
كَمَرَّقَةِ الْفَقِيرِ الْمُعْدِمِ، حَيْثُ لَا تَجِدُ رُقْعَةً لَا بُدَّ أَنْ تَجِدَ
فَتْقًا...

٣٦ - أَضِيعُ الْأُمَمَ أُمَّةً يَخْتَلِفُ أَبْنَاؤُهَا. فَكَيْفَ يَمَنْ
يَخْتَلِفُونَ حَتَّى فِي كَيْفٍ يَخْتَلِفُونَ...؟

٣٧ - مِنْ مُضْحِكَاتِ السِّيَاسَةِ إِنِشَاؤُهَا أَحْزَابًا يَقُومُ بَعْضُهَا
كَمَا تُغْرَسُ الْخَشَبَةُ لِتَكُونَ شَجَرَةً مُثْمِرَةً...

٣٨ - يَأْتِي الْغُرُورُ مِنْ ضَعْفِ النَّظَرِ إِلَى الْحَقِيقَةِ؛ لَوْ أَنَّ
لِلنَّمْلَةِ عَيْنًا وَسُئِلَتْ عَنِ الذَّبَابَةِ: كَيْفَ تَرَاهَا؟ لَقَالَتْ: هَذَا فِيلٌ
عَظِيمٌ...

٣٩ - فِي الضَّرُورَاتِ السِّيَاسِيَّةِ لَا يَحْفِلُ أَهْلُ السِّيَاسَةِ أَنَّ
يَصْدُقُوا أَوْ يَكْذِبُوا فِيمَا يُعْلِنُونَ إِلَى النَّاسِ؛ وَلَكِنَّ أَكْبَرَ هَمِّهِمْ أَنَّ
يُقَدِّمُوا دَائِمًا الْكَلِمَةَ الْمَلَائِمَةَ لِلْوَقْتِ.

٤٠ - إِذَا كَانَتِ الْمَصْلَحَةُ فِي السِّيَاسَةِ هِيَ الْمَبْدَأُ؛ فَمَعْنَى
ذَلِكَ أَنَّ عَدَمَ الْمَبْدَأِ هُوَ فِي ذَاتِهِ مَصْلَحَةُ السِّيَاسَةِ.

* * *

(٤١) - لَيْسَ الْفَقْرُ اخْتِلَالاً فِي النَّاسِ؛ إِنَّ الْفَقْرَ عَلَى التَّحْقِيقِ هُوَ اخْتِلَالٌ فِي الْقَوَائِنِ.

* * *

(٤٢) - مَعْنَى فَرَضِ الزَّكَاةِ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَةِ أَنَّ أَفْقَرَ الصَّعَالِيكِ فِي الدُّنْيَا لَهُ أَنْ يَقُولَ لِأَعْظَمِ مُلُوكِ الْمَالِ: قَدَّمَ لِي دِفَاتِرَكَ...

* * *

(٤٣) - مَثَلُ مَذْهَبِ الْإِسْتِرَاكِيَّةِ فِي وَهْمِ تَوْزِيعِ الْمَالِ، وَمَذْهَبِ الْإِسْلَامِ فِي الزَّكَاةِ، مَثَلُ رَجُلَيْنِ مَرَّ أَحَدُهُمَا بِغَرِيقٍ يَخْتَبِطُ فِي اللَّجِّ، فَاسْتَعَاثَهُ الْغَرِيقُ، فَنَظَرَ، فَإِذَا حَبَلٌ مُلْقَى عَلَى الشَّاطِئِ، وَلَكِنَّهُ صَاحَ بِالْهَالِكِ: أَنْتَ وَاللَّهِ فِي نَفْسِي أَكْبَرُ مَنْزِلَةً مِنْ أَنْ أُخْرِجَكَ بِالْحَبْلِ، فَأَنَا ذَاهِبٌ أَبْحَثُ لَكَ عَنْ زَوْرَقٍ... وَمَرَّ الثَّانِي فَالْقَى لَهُ الْحَبْلَ فَتَجَا.

* * *

(٤٤) - التَّمَدُّنُ وَالْفَقْرُ كصَاحِبَيْنِ مَعاً: ذِي رَجُلَيْنِ وَأَعْرَجَ يَمْشِيَانِ فِي طَرِيقٍ؛ كَلَّمَا انْفَسَحَتْ خُطُوَاتُ الْأَوَّلِ زَادَتْ عَثَرَاتُ الْآخِرِ.

* * *

٤٥ - التِّلْسُكُوبُ الْعَظِيمُ فِي اسْتِكْشَافِ مَعَانِي الْحُبِّ قَدْ يَكُونُ دَمْعَةً.

* * *

(٤٦) - يَنْظُرُ الْحُبُّ دَائِمًا بَعَيْنٍ وَاحِدَةً، فَيَرَى جَانِبًا وَيَعْمَى عَنْ جَانِبٍ؛ وَلَا يَنْظُرُ بَعَيْنَيْهِ مَعًا إِلَّا حِينَ يُرِيدُ أَنْ يَتَيَّنَ طَرِيقَهُ لِيَنْصَرِفَ...

* * *

٤٧ - تَتَكَبَّرُ الْمَرْأَةُ عَلَى كُلِّ مَا يُشْعِرُهَا بَضْعُفِهَا؛ فَمِنْ هُنَا تَبْلُغُ الْمَرْأَةُ آخِرَ كِبَرِيَّائِهَا فِي أَوَائِلِ حُبِّهَا.

* * *

٤٨ - إِذَا صَاحَبْتَ عَاشِقًا فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَبْدَأَهُ كُلَّمَا لَقِيْتَهُ إِلَّا بِأَحَدِ سَوَالَيْنِ: مَا هِيَ خُرَافَتُكَ الْيَوْمَ؟ أَوْ مَا هِيَ حِمَاقَتُكَ الْيَوْمَ...؟.

* * *

٤٩ - مَتَى نَظَرْتَ الْمَرْأَةَ إِلَى رَجُلٍ تُعْجِبُ بِهِ كَانَتْ نَظَرَاتُهَا الْأُولَى مُتَحِيرَةً قَلِقَةً غَيْرَ مُطْمَئِنَّةٍ؛ مَعْنَاهَا: هَلْ هُوَ أَنْتَ؟
فَإِذَا دَاخَلَهَا الْحُبُّ وَاطْمَأَنَّتْ جَاءَتْ نَظَرَاتُهَا مُسْتَرْسِلَةً مُتَدَلِّلَةً، مُتَأَنِّتَةً، مَعْنَاهَا: هُوَ أَنْتَ.

* * *

٥٠ - لَا يَضْحَكُ الْحَيَوَانُ إِذْ كَانَ لَا يَفْهَمُ إِلَّا فَهْمًا
وَاحِدًا؛ وَيَضْحَكُ الْإِنْسَانُ لِأَنَّهُ حُرِمَ هَذَا الْفَهْمَ الْوَاحِدَ. أَهْوِ
الْبَلَاءَ وَعِلَاجُهُ؛ أَمْ النِّعْمَةُ وَبِلَاؤُهَا؛ أَمْ هَذَا مَرَّةً وَهَذِهِ مَرَّةً؟

٥١ - لَا يُكْثِرُ الضَّحِكُ إِلَّا الْأَبْلَهُ الَّذِي يَفْهَمُ الشَّيْءَ فَهْمًا
يَمَسُّهُ شَيْئًا آخَرَ؛ وَإِلَّا الْعَامِيُّ الْفَارِغُ الَّذِي لَا يَفْهَمُ الْأَشْيَاءَ إِلَّا
مَمْسُوحَةً؛ وَإِلَّا الْفَيْلَسُوفُ السَّاخِرُ الْمُرَكَّبُ فِي طَبَاعِهِ مِنْ
الْفَيْلَسُوفِ وَالْأَبْلَةِ وَالْعَامِيِّ...

٥٢ - يَمْنَعُ الْهَمُّ وَنَحْوَهُ مِنَ الضَّحِكِ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ
حَقَائِقَ صَرِيحَةً فِي النَّفْسِ لَا تُفْهَمُ أَبَدًا عَلَى وَجْهَيْنِ.

٥٣ - لَا تَكُونُ أَمْرًا مَعْشُوقَةً رَجُلٍ إِلَّا وَهُوَ يَرَاهَا وَحْدَهَا
النِّسَاءَ جَمِيعًا؛ وَلَا يَكُونُ رَجُلٌ مَعْشُوقَ أَمْرًا إِلَّا وَهِيَ تَرَاهُ
وَحْدَهُ كُلَّ الرِّجَالِ. فَالْحُبُّ وَخِدَانِيَّةٌ لَا تَقْبَلُ الشَّرْكَ، وَمِنْ هَهُنَا
يَتَأَلَّهُ. ~~صَلَال~~ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ

٥٤ - يُوَلَّدُ الْمَوْلُودُ مِنْ رَجُلٍ وَأَمْرًا وَلَنْ يَكُونَ مِنْ ثَلَاثَةٍ؛
وَلِهَذَا لَنْ يَكُونَ فِي الْحُبِّ الصَّحِيحِ ثَلَاثَةٌ أَبَدًا.

٥٥ - قد تُحِبُّ المرأةُ رَجُلَيْنِ، أو يُحِبُّ الرجلُ امرأتَيْنِ،
ولكن هذا لَيْسَ حُبًّا، إِنَّهُ هو إِلَّا كَبُرَ فِي الْعَرَبَةِ جَعَلَهَا تَحْتَاجُ
إِلَى جَوَادَيْنِ...

٥٦ - لَعَلَّ مِنْ حَكَمِ الْحِجَابِ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّ الْعِشْقَ إِذَا
انْتَهَى إِلَى الزَّوْجِ فَقَلَّمَا يَكُونُ إِلَّا تَمْهِيداً لَوْلَادَةٍ إِفْرَاطٍ عَصِيٍّ
فِي قُوَّةٍ أَوْ ضَعْفٍ أَوْ بِلَادَةٍ أَوْ... أَوْ رَذِيلَةٍ.

٥٧ - ابْنُ الْمَرْأَةِ الْعَجُوزِ عَجُوزٌ حَتَّى فِي الطُّفُولَةِ، وَابْنُ
الشَّابَّةِ شَابٌّ حَتَّى فِي الْكُهُولَةِ؛ فَيَا ضَيْعَةَ الْإِنْسَانِيَةِ مِنْ تَأْخِيرِ
الزَّوْجِ!.

٥٨ - أَكْثَرُ النِّسَاءِ عَلَى أَنَّ نِصْفَ الذَّكَاءِ السَّاحِرِ فِي
الرَّجُلِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي عَقْلِهِ، وَيَكُونُ النِّصْفُ الْآخَرُ فِي
الْبَنكِ..

٥٩ - عِنْدَمَا تَكُونُ السَّاعَةُ هِيَ سَاعَةُ أَنْتَظَارِ الشَّيْءِ
المَحْبُوبِ، يَكُونُ قَلْبُ الْمُتَنْظِرِ مِنْ زَحْمَةِ الدَّقَائِقِ كَالَّذِي يَشُقُّ
طَرِيقاً زَاخِماً النَّاسَ فِيهِ.

٦٠ - الذَّلِيلُ فِي رَأْيِ الْحُبِّ مَنْ إِذَا هَجَرَتْهُ الْمَرْأَةُ كَانَ هَجَرَهَا إِيَّاهُ عُقُوبَتُهُ، وَالْعَزِيزُ فِي رَأْيِ الْحُبِّ مَنْ إِذَا هَجَرَتْهُ الْمَرْأَةُ كَانَ هَجَرَهَا إِيَّاهُ عُقُوبَتُهَا.

* * *

٦١ - الْيَوْمُ الَّذِي يَكُونُ قَلْبِيَاً مَحْضاً يَبْقَى لَهُ دَائِماً بَاقٍ لَا يَنْتَهِي؛ وَلِهَذَا لَا يَزَالُ الْحُبُّ الطَّاهِرُ كَأَنَّهُ فِي بَقِيَّةٍ مِنْ أَوَّلِهِ مَهْمَا تَقَادَمَ.

* * *

٦٢ - لَا يَعْرِفُ الطِّفْلُ تَارِيخَهُ مِنَ الزَّمَنِ وَمَا فِيهِ، وَلَكِنْ مِنْ بَيْتِ أَهْلِهِ وَمَنْ فِيهِ؛ فَأَمْسَ وَالْيَوْمُ وَغَدًا هِيَ كُلُّهَا عِنْدَهُ أَمْسٍ الَّذِي يَكْبُرُ شَيْئاً فَشَيْئاً... ابْنُ الطِّفْلَةِ إِنَّمَا هُوَ ابْنُ حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ الْحَيَاةِ لَا ابْنُ زَمَنِ، وَهَذَا سِرُّ السَّعَادَةِ.

* * *

٦٣ - يَا لَهَا عَجِيبَةٌ! إِنَّ الصُّوفِيَّ إِذَا فَازَ فِي حُبِّهِ الْإِلَهِيِّ رَأَى نَفْسَهُ بَاقِياً فِي الزَّمَنِ بَلَا بَقَاءٍ يَعْلَمُهُ، وَفَانِياً عَنِ الزَّمَنِ بَلَا فَنَاءٍ يَشْعُرُ بِهِ؛ وَذَلِكَ بَعِينُهُ مَا يَرَاهُ الْعَاشِقُ إِذَا خَابَ فِي حُبِّهِ الْإِنْسَانِيِّ...

* * *

(٦٤) - الْفَرْقُ بَيْنَ كَاتِبٍ مُتَعَفِّفٍ وَبَيْنَ كَاتِبٍ مُتَعَهِّرٍ أَنَّ الْأَوَّلَ مُثْقَلٌ بِوَاجِبٍ، وَالْآخِرَ مُثْقَلٌ بِهِ ذَلِكَ الْوَاجِبُ...

* * *

٦٥ - كَانَتْ الشَّفَقَةُ هِيَ الْأَصْلُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ اسْتَهْزَأَ
فَمَا نَسْتَهْزِئُ إِلَّا بِخَطِيئَةٍ أَوْ ضَعْفٍ أَوْ عَجْزٍ؛ وَلَكِنْ شُعُورَ
الْحَيَوَانِ بِقُدْرَتِهِ عَلَى حَيَوَانٍ آخَرَ، أَوْ بَأَنْتَصَارِهِ، أَوْ بِأَمْتِيَاظِهِ؛ هُوَ
فِي الْإِنْسَانِ أَصْلُ ذَلِكَ الْاسْتَهْزَاءِ.

* * *

(٦٦) - كَمَا يَضُرُّ أَهْلُ الشَّرِّ غَيْرَهُمْ إِذَا عَمِلُوا الشَّرَّ، يَضُرُّ
أَهْلُ الْخَيْرِ غَيْرَهُمْ إِذَا لَمْ يَعْمَلُوا الْخَيْرَ.

* * *

٣

٦٧ - إِذَا أَسْنَدَتِ الْأُمَّةُ مَنَاصِبَهَا الْكَبِيرَةَ إِلَى صِغَارِ
النُّفُوسِ، كَبُرَتْ بِهَا رَذَائِلُهُمْ لَا تُقُوسُهُمْ...

* * *

٦٨ - شَرُّ الْمُصْلِحِينَ رَجُلٌ مُسَلِّطٌ عَلَى أُمَّةٍ يَحْكُمُهَا بِعَقْلِ
كَبِيرٍ فِيهِ مَوْضِعُ فِكْرَةٍ مَجْنُونَةٍ^(١)...

* * *

(١) كَفِكْرَةِ إِسْقَاطِ الدِّينِ مِثْلًا، أَوْ هَدْمِ اللُّغَةِ، أَوْ تَقْلِيدِ أُورْبَةِ بَعْضِ
عَوْرَاءٍ... أَوْ دَفْعِ الْمَرْأَةِ فِي سَبِيلِ الْإِبَاحَةِ... الخ.

٦٩ - إذا فَسَقَ الحاكمُ، فقد حَكَمَ الفُسْقُ.

٧٠ - تُبْتَلَى الأُمَمُ أحياناً ببعض المُجدِّدين، فلا يكون
أَوَّلُ جديدهم إلا عيوبَ أَنْفُسِهِمْ...

٧١ - يقولُ لَكَ الكَذَّابُ إِنَّهُ يَكْرَهُ الكَذِبَ، وَلَكِنَّهُ في هذا
أَيْضاً كَذَّابٌ...

٧٢ - قِيَمَةُ كُلِّ شَيْءٍ هي قِيَمَةُ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ؛ فَتُرَابُ شَيْءٍ
من السَّاحِلِ هو في نَظَرِ الغريقِ أَثْمَنُ من كُلِّ ذَهَبِ الأرضِ.

٧٣ - حَقِيقَةُ الدَّلِّ أَلَّا يَعْرِفَ الدَّلِيلُ حَقِيقَةَ نَفْسِهِ.

٧٤ - الْمُعَلَّمُ ثَالِثُ الأبْوَيْنِ؛ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يَأْبُو حِينَ يَنْظُرُ
كَيْفَ يُعَلِّمُ.

٧٥ - إِنَّمَا كَثُرَتِ الآرَاءُ في المَرْأَةِ، لِأَنَّ المَرْأَةَ هي ما
يَفْهَمُهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهَا بِنَفْسِهِ.

٧٦ - لا تَبْلُغُ الفلسفةُ ولا العِلْمُ ولا النَّهْضَةُ النسائيةُ...
في تعريف المرأة، أكثر من أنها ليست رجلاً...

* * *

٧٧ - لو عَقَلَ نساء هذا الزَّمنِ؛ لطالَبْنَ بحقوقهنَّ في
الرجال، لا بحقوقهنَّ على الرجال.

* * *

٧٨ - يُبَالِغُ بَعْضُ الكُتَّابِ في مُظَاهَرَةِ النساءِ على
تَمَرِّدِهِنَّ، إِذْ كَانَتْ هَذِهِ هِيَ اللُّغَةُ الفَصِيحَةُ الَّتِي يُنَادِي بِهَا
جَمَالُ المرأةِ...

* * *

٧٩ - أَبْلَغُ الرَّدِّ على هؤلاء الغالياتِ في المطالبةِ بِحُقوقِ
المرأة، أَنَّهُنَّ أَوْ أَكْثَرُهُنَّ، بَيْنَ وَاحِدَةٍ فَقَدَتِ الرَّجُلَ، وَأُخْرَى
سَلِبَتِ الرَّجُلَ، وَثَالِثَةٌ لَمْ تَنَلِ الرَّجُلَ؛ فَهِيَ أَحْلَامُ إِفْلَاسٍ كَمَا
تَرَى...

* * *

٨٠ - أَسْتَرْجَالُ المرأةِ، وَسَوْءُ خُلُقِ المرأةِ، وَقَدَارَةُ المرأةِ،
أَحَدُ الثَّلَاثَةِ هُوَ فِي قُبْحِهِ كَالثَّلَاثَةِ جَمِيعاً.

* * *

٨١ - العِشْقُ الدُّنْيِيُّ دُنْيِيٌّ مَرَّتَيْنِ؛ حَتَّى إِنَّ المرأةَ السَّاقِطَةَ

لَوْ أَخْلَصْتَ الْحُبَّ لِرَجُلٍ مِنْ عَشَّاقِهَا، لَسَقَطَتْ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي رَأْيِ الْبَاقِينَ.

٨٢ - فِي الْأُمَمِ الْمُنَحَطَّةِ، تَجِدُ نِفَاقَ الْكِبَارِ لِلْكَبَارِ، هُوَ الَّذِي أَضَاعَ الْكِبَارَ وَالصَّغَارَ.

(٨٣) - فِي مِثْلِ هَذَا الْعَصْرِ، يَكَادُ يَكُونُ التَّعْرِيفُ الصَّحِيحُ لِلْأَفْضَلِ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ الْأَقْلُ سَفَالَةً...

٨٤ - كَثِيرًا مَا جَنَّتِ الْمُرُوءَةُ عَلَى أَهْلِهَا؛ وَلَكِنَّ احْتِمَالَ هَذِهِ الْجِنَايَةِ هُوَ أَيْضًا مِنَ الْمُرُوءَةِ.

٨٥ - إِذَا عَامَلْتَ لَيْمِيًّا فَأَنْتَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ تَبِيعَهُ ذِمَّتَكَ بِلا شَيْءٍ، أَوْ تَشْتَرِيَ ذِمَّتَهُ بِشَيْءٍ...

(٨٦) - أَقْنِعِ اللَّيْمَ بِالكَرَمِ الَّذِي فِي نَفْسِكَ؛ فَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَحْدَهَا يَقْنَعُ اللَّوْمَ الَّذِي فِي نَفْسِهِ.

(٨٧) - الْخَطَرُ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ الْعَنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ، هُوَ نَجَاحُ اسْمِهِ الْخَطَرُ.

٨٨ - عِلْمُ الْجَاهِلِ فِي شَيْئَيْنِ: فِي سَكْوَتِهِ، وَفِي السَّكُوتِ عَنْهُ.

* * *

(٨٩) - أَشَدُّ مَا فِي الْكَسَلِ أَنَّهُ يَجْعَلُ الْعَمَلَ الْوَاحِدَ كَأَنَّهُ أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ.

* * *

٩٠ - الرَّجُلُ الْعَظِيمُ فِي فَتَاهُ، قَالَبُ إِنْسَانِيٍّ لَا إِنْسَانٍ؛ فَلَا يُقَاسُ إِلَّا لِقَاسِ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

* * *

(٩١) - مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّ رَذِيلَةَ الْمُلْحِدِ فِي رَأْيِ الْمُؤْمِنِ هِيَ أُخْتُ غَفْلَةِ الْمُؤْمِنِ فِي رَأْيِ الْمُلْحِدِ.

* * *

٩٢ - لَيْسَ فِي بَغْضَاءِ اللَّئِيمِ أَبْغَضُ مِنْ طَرِيقَةِ إِظْهَارِهَا، إِنَّهُ لَا يُعْلِنُ بُغْضَهُ بَلْ لَوْمَهُ الْمُبْغِضُ.

* * *

٩٣ - الرَّأْسُ الْفَارِغُ مِنَ الْحِكْمَةِ لَا يُوَازِنُهُ فِي صَاحِبِهِ إِلَّا قَمٌّ مُمْتَلِيٌّ مِنَ الثَّرَثَرَةِ.

* * *

٩٤ - مَا أَضْيَعَ النَّصْحَ فِي الْحُبِّ وَفِي الْخَمْرِ؛ لِأَنَّ الْعَاشِقَ وَالْمُدْمِنَ كِلَاهُمَا أَشَدُّ أَفْتَقَاراً لِسُرُورِهِ مِنْهُ إِلَى عَقْلِهِ.

* * *

٩٥ - أَفَلَا تَرَى الْمَرْأَةَ أَنَّ طَبِيعَتَهَا تَجْعَلُ نَظَرَهَا إِلَى
الرَّجُلِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ مُهَيَّأً لِبَعْضِ الْعَمَى...

* * *

٩٦ - قَالَ لِي عَاشِقُ حَزِينٌ: مَا أَقْدَسَ الْحُزْنَ الَّذِي فِيهِ
رُوحَانِيَّةُ الْفَرَحِ؛ إِنَّهُ حُزْنٌ وَسُرُورٌ وَشَهْوَةٌ نَفْسٍ.

* * *

٩٧ - إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَاضٍ وَاحِدٌ يَتَّقِدُ قَضَائِهِ،
ثُمَّ أَحْتَجَّتْ أَنْ تَرْفَعَ قَضِيَّةٌ غَضَبٍ أَوْ (نَصَبٍ)^(١) عَلَى هَذَا
الْقَاضِي... فَهَذِهِ صُورَةٌ كُلِّ عَاشِقٍ وَمَعشُوقِهِ فِي الدُّنْيَا.

* * *

٩٨ - رَأَيْتُ فِي نَوْمِي ذَاتَ مَرَّةٍ أَنِّي دَعَوْتُ طَبِيباً لِمَرِيضٍ
عِنْدِي؛ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ وَقَدْ وَصَفَ الدَّاءَ: هَلْ تُسَخِّنُ الْمَاءَ؟ فَقَالَ:
لَا تُسَخِّنُ الْمَاءَ؛ وَلَكِنْ ضَعُهُ عَلَى النَّارِ حَتَّى يَسَخُنَ.. هَذَا بِعَيْنِهِ
أُسْلُوبُ كِبَرِيَاءِ الْمَرْأَةِ الْعَاشِقَةِ حِينَ تَقُولُ: لَا! عَلَى وَزْنِ «لَا
تَسَخِّنُ الْمَاءَ، وَلَكِنْ...».

* * *

(١) قولهم: نَصَبَ عَلَيْهِ، بِمَعْنَى احْتَالَ، وَاسْتَعْمَالَهُمْ كَلِمَةَ النِّصَبِ مِنْهَا؛
لَيْسَ فَصِيحاً، وَلَكِنَّهُ عَامِيٌّ مُوَلَّدٌ. وَقَدْ أَصْبَحَتِ الْكَلِمَةُ مِنَ الْأَلْفَاظِ
الْقَضَائِيَّةِ فَلَا نَمْنَعُ أَنْ تَجْرِيَ مَجْرَى الْمِصْطَلَحَاتِ. وَفِي اللَّفْظَةِ مَعَ
عَامِيَّتِهَا دِقَّةٌ بَلِيغَةٌ.

٩٩ - إِذَا طَالَ هَجْرُكَ لِمَنْ تُحِبُّهَا، كَانَ أَثَرُ مُرُورِ الزَّمَنِ عَلَيْهَا كَأَثَرِهِ فِي الْحَرِيرِ الْمَضْبُوعِ؛ إِنْ لَمْ يَبْدُ فِي الْعَيْنِ ذَلِيلَ النَّسَجِ، بَدَا فِيهَا ذَلِيلَ اللَّوْنِ...

١٠٠ - الرَّجُلَانِ الْعَاشِقَانِ لَأَمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ لَا يَتَحَابَّانِ، وَالْمَلِكَانِ الطَّامِعَانِ فِي مَمْلَكَةٍ وَاحِدَةٍ لَا يَتَسَالَمَانِ، وَالطُّفْلَانِ الشَّرِيكَيْنِ فِي لُعْبَةٍ وَاحِدَةٍ لَا يَتَصَافِيَانِ. فَاللُّعْبَةُ أَمْرَأَةُ الطُّفْلَيْنِ، وَالْمُلْكُ أَمْرَأَةُ الْمَلِكَيْنِ؛ أَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ أَمْرَأَةُ وَمُلْكٌ وَلُعْبَةٌ، وَأَتَمُّ النِّسَاءِ مَنْ تَجَمَّعُوهُنَّ.

١٠١ - يَقُولُ لَكَ الزَّاهِدُ الْعَابِدُ: أَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا وَأَدْخُلْ فِي نَفْسِكَ. وَيَقُولُ لَكَ الْمَاجِنُ الْخَلِيعُ: أَخْرُجْ مِنْ نَفْسِكَ وَأَدْخُلْ إِلَى الدُّنْيَا. وَيَقُولُ لَكَ الْحَكِيمُ الْعَاقِلُ: كُنْ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ تَكُنْ فِي نَفْسِكَ وَفِي الدُّنْيَا.

١٠٢ - تَرَى مَاذَا يَحْتَاجُ الْحَيَوَانُ فِي أَوْرُبَةٍ مِنْ قِوَامِ عَيْشِهِ وَلَذَاتِهِ، غَيْرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَيَوَانٌ مِثْلُهُ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الزَّنَجِ؟ فَلَيْسَ فَقَرُ الْمَدْنِيَّةِ فَقَرُ الطَّبِيعَةِ، وَلَكِنَّهُ قَرُ الْعَقْلِ وَالْخِيَالِ وَالْوَهْمِ. وَهَذِهِ الطَّبِيعَةُ تَكْفِي كُلَّ أَهْلِ الْأَرْضِ شَمْساً وَهَوَاءً وَطَعَاماً وَشَرَاباً وَجَمَالاً. وَلَكِنَّهَا لَا تُنْبِتُ خَيَالَاتِ لِلْعَيْشِ وَلَا

قَوَاعِدَ لِلْعَيْشِ. فَأَصْبَحَتْ لَا تَكْفِي مَا دَامَ غَنِيٌّ وَاحِدٌ يُنْفِقُ فِي
لَذَّةِ يَوْمٍ قُوتَ مَدِينَةٍ. لَا يَأْكُلُ الْحَمَارُ الْأَرْضَ كُلَّهَا لِيُجِيعَ
الْحَمِيرَ، وَلَكِنَّ الْغَنِيَّ يَفْعَلُ ذَلِكَ...

* * *

١٠٣ - رَأَيْتُ الْقَوَانِينَ كَمَلَاجِيءِ اللَّقَطَاءِ، هَذِهِ تُرَبِّي
صِغَارَ الْأَطْفَالِ، وَتِلْكَ تُرَبِّي صِغَارَ الْجَرَائِمِ...

* * *

٤

١٠٤ - لَا يَفْشُو الْكَذِبُ إِلَّا فِي الْأُمَمِ الدَّلِيلَةِ؛ فَإِذَا فَقَدُوا
سُلْطَةَ الْحُكْمِ وَاسْتَشْعَرُوا فِي الْحَيَاةِ مَعْنَى فَقْدِهَا، سَلَّطُوا أَنْفُسَهُمْ
عَلَى مَا يَسْهَلُ الْحُكْمُ عَلَيْهِ لِكُلِّ ضَعِيفٍ: عَلَى الْمَعَانِي فِي
أَلْفَاظِهَا.. وَلَكِنَّ هَذَا أَيْضاً كَذِبٌ فِي الْحُكْمِ...

* * *

١٠٥ - إِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا عَمَّهُمُ الْكَذِبُ فِي بَابٍ مَا يُفْتَخَرُ
بِهِ، فَاجْعَلْ هَذَا وَحْدَهُ فِي تَارِيخِهِمْ بَابَ مَا سَقَطُوا بِهِ.

* * *

١٠٦ - تَمَامُ بَعْضِ اللَّذَاتِ فِي الْحِرْزَمَانِ مِنْ بَعْضِ
اللَّذَاتِ.

* * *

١٠٧ - ما أَسْعَدَ الْعَقْلَ الَّذِي يَتَأَثَّرُ بِبِلَاهَةِ كَالطُّفْلِ؛ وَلَكِنْ
هل يُسَمَّى هذا عَقْلاً...؟

١٠٨ - الْحُبُّ فِي طَبِيعَتِهِ حُمَقٌ عَاقِلٌ؛ أَلَا تَرَاهُ حِينَ
يُبْغِضُ كَيْفَ يَنْقَلِبُ إِلَى الصُّورَةِ الْأُخْرَى فَيَكُونُ عَقْلاً أَحْمَقَ.

١٠٩ - أَشَدُّ الْعَدَاوَةِ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَشَدِّ الْحُبِّ.

١١٠ - كَرِهْتُ رَجُلًا فِي الدِّينِ، وَكَرِهْتُ أَمْرًا فِي
الْحُبِّ؛ فَكَانَ النِّزَاعُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ كَرِهْتُ كَالنِّزَاعِ بَيْنَ دِينَيْنِ لَا
بَيْنَ شَخْصَيْنِ.

١١١ - مِنْ أَسْخَفِ مَا رَأَيْتُ تَنْبُلُ الْمُوَظَّفِينَ بِشِبَابِهِمْ
وظَاهِرِ هَيَأَتِهِمْ؛ تَكُونُ وَظِيفَةُ أَحَدِهِمْ سِتَّةَ جُنَيْهَاتٍ فِي الشَّهْرِ،
وهو مَدِينٌ لِلْحَيَاطِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ.. يُرِيدُ أَنْ يُقَلَّدَ الرَّئِيسَ الْكَبِيرَ
فِي تَقْرِيرِ مَكَانَتِهِ بِجَاهِ الْحُكُومَةِ؛ فَيُقَرَّرُهَا وَلَكِنْ بِجَاهِ الْحَيَاطِ...

١١٢ - لَوْ تَاهَ غَنِيٌّ فِي الصَّحْرَاءِ وَنَفَدَ زَادُهُ ثُمَّ أَصَابَ
رَغِيفًا مُلْقًى هُنَاكَ - لَعَرَفَ بِهِ لَذَّةَ الْفَقْرِ، وَلَأَدْرَكَ أَنَّ أَغْنَى الْغِنَى

يَعْجُزُ أَنْ يُؤْتِيَ النَّفْسَ مِثْلَهَا. إِنَّ إِمْكَانَ الْمُتَعَدِّ هُوَ وُجُودُ تَامِ
السَّعَادَةِ بِنَفْسِهِ، وَهَذَا مَا حُرِّمَهُ الْأَغْنِيَاءُ وَهُوَ لِلْفُقَرَاءِ كُلِّ يَوْمٍ.

١١٣ - قَاعِدَةُ الْحَيَاةِ أَنَّ مَا أُمْتَنَعَ عَلَى الْجِسْمِ مِنْ
شَهَوَاتِهِ جَعَلَتْهُ الرُّوحُ مِنْ مَسَرَّاتِهَا؛ فَفِي بَعْضِ الْفَقْرِ نَوْعٌ مِنْ
الثَّرْوَةِ، وَفِي نَوْعٍ مِنَ الْحِرْمَانِ بَعْضُ الْعَطَاءِ. وَلَكِنْ أَيْنَ الرُّوحُ
الْقَوِيَّةُ الَّتِي تَعْرِفُ هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْمُعَامَلَةِ وَتَصْبِرُ عَلَيْهِ، وَأَكْثَرُ
النَّاسِ فِي مُعَامَلَةِ اللَّهِ كَالْأَبْلَةِ يُعْطَى صَكًّا بِأَلْفِ دِينَارٍ عَلَى
«الْبَنْكِ» فَيَحْسِبُهُ وَرَقَةً كَالْوَرَقِ فَيَمِزُّهُ أَوْ يُلْقِيهِ وَيَذْهَبُ يَتَوَجَّعُ
مِنْ الْفَقْرِ...

١١٤ - لَا يَجْمَعُ الطِّفْلُ عَلَى نَفْسِهِ هَمَّيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا،
بَلْ يَخْضُرُ نَفْسَهُ فِي الْهَمِّ الْوَاحِدِ لِيُخْرِجَ مِنْهُ أَقْوَى وَأَسْرَعَ مَا
أَسْتَطَاعَ. وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى هَذَا إِلَّا الطِّفْلُ فِي هُمُومِهِ
الصَّغِيرَةِ؟

١١٥ - رُؤْيَا الْكِبَارِ شُجْعَانًا هِيَ وَخُذَهَا الَّتِي تُخْرِجُ
الصَّغَارَ شُجْعَانًا. وَلَا طَرِيقَةَ غَيْرِ هَذِهِ فِي تَرْبِيَةِ شَجَاعَةِ الْأُمَّةِ.

١١٦ - يَقُولُ أَهْلُ السِّيَاسَةِ أَحْيَانًا فِي الْإِعْتِذَارِ إِلَى الضُّعْفَاءِ الْمَسَاكِينِ: أَيُّهَا الْعُقَلَاءُ! إِنَّ هَذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ. والمعنى السياسي: أَيُّهَا الْبُلَه! إِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ إِلَّا هَذَا...

* * *

١١٧ - إِذَا دَامَ مَا أَرَى مِنْ حِمَاةِ الشَّرِيقِينَ النَّاqِلِينَ عَن أُورُبَّةَ؛ فَسَتَنْقُلُ أُورُبَّةُ يَوْمًا عَن الشَّرِيقِينَ مَتَى احْتَاqَتْ إِلَى مَخَازِيهَا فِي شَكْلِ هَمَجِي...

* * *

١١٨ - أَبْلَغُ مَا فِي السِّيَاسَةِ وَالْحُبِّ مَعًا: أَنْ تُقَالَ الْكَلِمَةُ وَفِي مَعْنَاهَا الْكَلِمَةُ الَّتِي لَا تُقَالَ...

* * *

١١٩ - الْحَرْبُ تَصْحِيحٌ لَخَطِئٍ وَقَعَ فِي السَّلْمِ أَوْ لِمَا يَزْعُمُهُ الْقَوِيُّ خَطِئًا وَقَعَ. فَلَنْ تَنْتَفِي هَذِهِ الْحَرْبُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمَ تُرْبَى الذَّنَابُ تَرْبِيَةً خُرُوفِيَّةً...

* * *

١٢٠ - لَا فَرْقَ بَيْنَ زَوْجَةٍ وَحِمَارَةٍ فِي دَارٍ، إِنْ لَمْ تَجْعَلِ الزَّوْجَةَ دَارَهَا فِي الزَّيْنَةِ وَالْمَرْحَ كَأَنَّمَا هِيَ مُتَزَوِّجَةٌ أَيْضًا.

* * *

١٢١ - طَبِيعَةُ الْمَرْأَةِ بِفَنِّهَا مَنْزِلَةٌ حِجَابِيَّةٌ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ وَضْعُ امْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ تَعْمَلُ فِي مَصْنَعٍ فِيهِ رِجَالٌ فَطَبِيعَتُهَا بِفَنِّهَا لَا تَجْعَلُهَا حِينْتِذٍ إِلَّا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ تُطْرَدَ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ بَيْنَهُمْ كَالزَّوْجَةِ...

* * *

(١٢٢) - يُمَثِّلُ النِّسَاءُ الْغَالِيَاتُ فِي الْمَطَالِبَةِ بِحَقُوقِ الْمَرْأَةِ فَضْلًا مِنْ رِوَايَةِ الْعَاطِفَةِ فِي شَكْلِ فَضْلِ مِنَ الْحَقِّ؛ يُرَدَّنَ الْمُطَارَدَةُ وَالسَّلَامُ...

* * *

١٢٣ - كُنِ الرَّجُلَ فِي مَعَانِيهِ الْقَوِيَّةِ فَلَنْ تَجِدَ الْمَرْأَةَ مَعَكَ إِلَّا فِي أَقْوَى مَعَانِيهَا.

* * *

١٢٤ - وَدِدْتُ وَاللَّهِ لَوْ أُمَكَّنَ أَنْ يَجْتَمَعَ الْمَطَالِبَاتُ بِحَقُوقِ الْمَرْأَةِ عَلَى زَعِيمَةٍ وَاحِدَةٍ يَخْتَرْنَهَا مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِ كُلِّهِ؛ فَلَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْوَاحِدَةُ إِلَّا الْمَرْأَةُ الَّتِي يَسْتَحِيلُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ فِي الْعَالَمِ....

* * *

١٢٥ - فَضَّتِ الطَّبِيعَةُ فُضَاءَهَا: أَنَّ سَعَادَةَ الْمَرْأَةِ فِي أَنْ تَكُونَ هِيَ سَعَادَةُ لِعَاجِزِهَا؛ فَنِسَاءُ الْمَعَامِلِ وَالْحَوَانِيتِ هُنَّ... هُنَّ وَاللَّهِ الشَّرِيدَاتُ الْمُتَصَعِّلِكَاتُ.

* * *

١٢٦ - أَنَا مُسْتَيَقِنٌ أَنَّ الْعِلْمَ سَيَنْتَهِي إِلَى إِثْبَاتِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ: إِنَّ الْمَرْأَةَ مَرِيضَةٌ بِأَنَّهَا أُتْنَى.

٢٢٧ - الْخَطَأُ وَالْمَرْأَةُ: كِلَاهُمَا أَكْبَرُ هَمٍّ أَنْ يَظْهَرَ وَيَغْلِبَ...

١٢٨ - طَلَبَ الْخَلِيفَةُ الْمَنْصُورُ إِمَاماً زَاهِداً عَظِيماً لِيُولِيَهُ الْقَضَاءَ. فَلَمَّا دَخَلَ الْإِمَامُ قَالَ لِلْمَنْصُورِ: كَيْفَ حَالُكَ، وَكَيْفَ عِيَالُكَ، وَكَيْفَ حَمِيرُكَ.. فَقَالَ: أَخْرِجُوهُ فَإِنَّهُ مَجْنُونٌ. كَذَلِكَ يُضْطَرُّ الرَّجُلُ الْعَظِيمُ أَنْ يَخْرُجَ أحياناً عَلَى عَقْلِ سِوَاهُ لِيَخْرُجَ بِعَقْلِهِ هُوَ.

١٢٩ - الْفَيْلَسُوفُ الْحَقُّ هُوَ الَّذِي يَنْتَهِي مِنْ نَفْسِهِ إِلَى مَوْضِعٍ عَقْلِيٍّ يَكُونُ فِيهِ مَعَ الْحَيَاةِ كَمَا يَكُونُ الْقَاضِي فِي مَوْضِعِهِ الْعَقْلِيِّ مَعَ الْحَوَادِثِ: تَأْتِيهِ لِيَحْكُمَ عَلَيْهَا لَا لِيَحْكُمَ عَلَيْهِ.

١٣٠ - قِلَّةُ الرِّغَابِ هِيَ قِلَّةُ هُمُومٍ.

١٣١ - كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - وَفِي يَدِهِ الدُّنْيَا - يَشْتَهِي

الشَّهْوَةُ مِنَ الطَّعَامِ ثَمَنُهَا دِرْهَمٌ، فَيُؤَخِّرُهَا سَنَةً. يُثَبِّتُ لِنَفْسِهِ
بِذَلِكَ أَنَّهَا نَفْسُ عُمَرَ.

١٣٢ - لَيْسَ الَّذِي يَنْتَحِرُ هُوَ صَاحِبُ النَّفْسِ الْعَامِلَةِ
بِإِيمَانِهَا؛ فَإِنَّ هَذَا تَنْتَحِرُ شَهْوَاتُهُ، وَمَطَامِعُهُ، وَخَسَائِسُهُ.

١٣٣ - الْإِنْتِحَارُ كُفْرٌ صَرِيحٌ يَذْهَبُ بِالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛
فَالْيَأْسُ وَهُوَ يُفَكِّرُ أَنْ يَنْتَحِرَ إِنَّمَا يَقُولُ لِلَّهِ بُلْعَةً فِكْرِهِ: إِنَّكَ
عَاجِزٌ.

١٣٤ - أَنْتَ عَجَزْتَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فَأَيَقَنْتَ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ
أَنْ تُغَيِّرَ أَطْوَارَ الدُّنْيَا؛ وَلَكِنْ كَيْفَ نَسِيتَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ
يُغَيِّرَهَا وَهُوَ يُغَيِّرُهَا كُلَّ طَرْفَةِ عَيْنٍ؟

١٣٥ - لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُرْضِيكَ الدُّنْيَا كُلَّمَا أَحْبَبْتَ وَلَا بِكُلِّ
مَا تُحِبُّ، فَلَسْتَ أَنْتَ الْعَاصِمَةُ فِي مَمْلَكَةِ اللَّهِ؛ وَلَكِنَّ الْمُمَكِّنَ
أَنْ تَرْضَى أَنْتَ بِمَا يُمَكِّنُ.

١٣٦ - لقد عَجَزْتَ أَنْ تَنَالَ شَيْئاً فَتَعْلُوَ بِهِ دَرَجَةً؛
أَفَعَجَزْتَ أَنْ تَسْتَغْنِي عَنْهُ فَتَنْزِلَ دَرَجَةً؟

* * *

١٣٧ - في الأرض ناسٌ على أطباقٍ بين المَلِكِ إلى
الزَّيَالِ. أَفِيَجْتَمِعُ الزَّيَالُونَ جَمِيعاً فِي مَجْزِرٍ لِيَنْتَحِرُوا إِذْ لَمْ
يَكُونُوا مُلُوكاً؟

* * *

١٣٨ - لَيْسَتْ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا هِيَ الَّتِي تَرْفَعُكَ عِنْدَ نَفْسِكَ
أَوْ تُخَفِّضُكَ؛ بَلْ فِكْرُكَ بِمَا يَكُونُ فِيهِ هُوَ يُخَفِّضُكَ أَوْ يَرْفَعُكَ.
وَمَنْ الَّذِي يَمْلَأُ فِكْرَكَ غَيْرُكَ؟

* * *

١٣٩ - سِرُّ سَعَادَةِ الْمُؤْمِنِ عَلَى مَا يَجِدُ مِنَ الْفَقْرِ وَالشَّقَاءِ
فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ؛ أَنَّ فِي ضَمِيرِهِ مِنْ فِكْرَةِ الْآخِرَةِ وَجُوداً إِلَهِيّاً
عَظِيماً فِيهِ الرِّضَى الدَّائِمُ عَنِ اللَّهِ، وَالصَّبْرُ الدَّائِمُ عَلَى قَضَاءِ
اللَّهِ، وَالْأَمَلُ الدَّائِمُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ. فَكُلُّ حِرْمَانِ الدُّنْيَا يَذْهَبُ
فِي الرِّضَى فَلَا حِرْمَانَ، وَكُلُّ مَصَائِبِهَا تَقَعُ فِي الصَّبْرِ فَتَتَحَوَّلُ
مَعَانِيهَا، وَالْأَمَلُ الدَّائِمُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ قُوَّةٌ لِلْقُوَّتَيْنِ.

* * *

(١٤٠) - أَرَادُوا مَرَّةً امْتِحَانَ السِّيَاسِيِّينَ فِي بِلَاغَةِ السِّيَاسَةِ،
فَطَرَحُوا عَلَيْهِمْ هَذَا الْمَوْضُوعَ:

سَرَقَتْ حُقُوقَ أُمَّةٍ ضَعِيفَةٍ، فَأَكْتُبْ كَيْفَ تَشْكُرُهَا عَلَى
هَدِيَّتِهَا...

* * *

١٤١ - عِنْدَمَا يَشْرَبُ الضُّعْفَاءُ مِنَ السَّرَابِ الَّذِي تُخِيلُهُ
السِّيَاسَةُ لِأَعْيُنِهِمْ - يُقَدِّمُونَ لَهُمُ الْمَنَادِيلَ النَّظِيفَةَ لِيَمْسَحُوا
أَفْوَاهَهُمْ...

* * *

(١٤٢) - لَوْ سُئِلَ السِّيَاسِيُّ الْعَظِيمُ: أَيُّ شَيْءٍ هُوَ أَثْقَلُ
عَلَيْكَ؟ لَقَالَ: إِنْسَانِيَّتِي.

* * *

١٤٣ - قَدْ يُبْطَلُ الْمَنْطِقُ كُلُّ الْحُجَجِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ: حُجَّةُ
السِّيَاسِيِّ الْقَوِيِّ حِينَ يَغْتَصِبُ الضَّعِيفَ، وَأُخْتَهَا حُجَّةُ اللَّصِّ
الْفَاتِكِ حِينَ يُسْأَلُ: مِنْ أَيْنَ أَشْتَرَى؟ فيقول: أَشْتَرْتُ يَمِينِي مِنْ
شِمَالِي....

* * *

١٤٤ - قَالُوا: نَظَمَ الصَّقْرُ قَصِيدَةً مِنَ الْغَزَلِ فِي عُصْفُورٍ جَمِيلٍ مُصَبَّغٍ الرِّيشِ، فَكَانَ مَطْلَعُهَا: «مَا أَلَذَّ» رِيشَكَ أَيُّهَا الْعُصْفُورُ! هَكَذَا لُغَةُ السِّيَاسَةِ.

* * *

١٤٥ - مَرَّ فَيْلَسُوفٌ بِرَجُلٍ مُصَوِّرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ صُورَةُ امْرَأَةٍ قَدْ صَوَّرَهَا فَأَكْثَرَ عَلَيْهَا الْحِلْيَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوْهَرِ، فَسَأَلَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ الْمُصَوِّرُ: لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَجْعَلَهَا حَسَنَاءَ فَجَعَلْتُهَا غَنِيَّةً.... كَذَلِكَ أَحْزَابُنَا السِّيَاسِيَّةُ لَمَّا عَجَزَتْ عَنْ حَقِيقَةِ السِّيَاسَةِ جَعَلْتُنَا أَغْنَى النَّاسِ بِالْكَلامِ الْفَارِغِ.

* * *

١٤٦ - مِنْ تَمَامِ فَضِيلَةِ الرَّجُلِ السِّيَاسِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَلَامَانِ، أَحَدُهُمَا سَكُوتُهُ.

* * *

١٤٧ - فِي الْحُبِّ وَالسِّيَاسَةِ، لَا يَبْدَأُ الْإِثْمُ إِلَّا كَالْفَلْتَةِ الْمُفْرَدَةِ؛ وَلَكِنْ مَتَى وَقَعَ الشَّاذُّ فِي السِّيَاسَةِ وَالْحُبِّ، صَارَ هُوَ الْقَاعِدَةُ...

* * *

١٤٨ - إِذَا رَأَيْتَ شَبَابَ أُمَّةٍ يَتَنَبَّلُونَ بِالشِّيَابِ وَالزَّيْنَةِ، فَاعْلَمْ أَنَّهَا أُمَّةٌ كَذِبٍ وَنِفَاقٍ: يُغْطُونَ الْحَقِيقَةَ الرَّخِصَةَ بِالثُّوبِ

الغالي، وَيُكَذِّبُونَ حَتَّى عَلَى الْأَعْمَى.

١٤٩ - فَضِيلَةُ الْمَلَائِكَةِ عِنْدَ النَّاسِ أَنَّهُمْ لَا يُكَابِدُونَ وَلَا يَحْزَنُونَ؛ أَفَلَا تَكُونُ فَضِيلَةُ النَّاسِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ أَنَّهُمْ يُكَابِدُونَ وَيَحْزَنُونَ؟.

١٥٠ - قَالَتِ الْعَشْرَةُ لِلْأَلْفِ: أَنْتَ سَرَقْتَ مِنِّي صَفْرَيْنِ... هَكَذَا رَأَيْتُ غُرُورَ بَعْضِ أَدْبَائِنَا.

١٥١ - يَكْبُرُ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ مِنْ صِغَرِ الْمُحِيطِينَ بِهِمْ؛ قَالُوا: بَعَرْتُ شَاةً حَوْلَ قِطْعَةٍ مِنْ حَجَرٍ، فَتَنَطَّقْتُ بَعْرَةً فَقَالَتْ لِلْحَجَرِ: يَا مَا أَعْظَمَكَ أَيُّهَا الْجَبَلُ السَّامِعُ...

١٥٢ - يَكُونُ فِي بَعْضِ الْأَدْبَاءِ مِنْ سَخَافَةِ الْحَقْدِ مَا لَا يَكُونُ مِثْلُهُ إِلَّا فِي بَعْضِ النِّسَاءِ مِنْ دَنَاءَةِ الْعَيْرِ: لَوْ مَاتَتْ صَرَّتْهَا لَبَقِيَ مِنْ دَنْبِهَا أَنَّهَا كَانَتْ ضَرَّةً...

١٥٣ - مَنْ فَرَضَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَعْرِفُوهُ نَابِغَةً فَقَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْرِفُوهُ مَعْتُوهاً أَوْ مَعْرُوراً.

١٥٤ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَكَلَّمَ عَنْ مَيِّتٍ، فَضَعْ نَفْسَكَ فِي مَوْضِعِهِ ثُمَّ تَكَلَّمَ.

١٥٥ - مَنْ أَكْثَرَ الشُّكُوى إِلَى النَّاسِ، عَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ خَالِياً مِنَ الشُّكُوى.

١٥٦ - إِذَا صَدَقَ الْحُبُّ كَانَتْ بَعْضُ اللَّعْنَاتِ فِيهِ أَحْيَاناً ضَرْباً مِنَ التَّحَايَا (غِيَابِيّاً)...

١٥٧ - كُلُّ مَعْشُوقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ مِنْ عَاشِقِهَا بِحَاجَتِهِ إِلَيْهَا، وَلَوْ كَانَ مَلِكاً وَكَانَتْ خَادِماً؛ فَمَا أَحَقَّرَ الْعِظَمَةَ أَحْيَاناً!

١٥٨ - عَلَّمَنِي التَّجَرُّبَةُ أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ اسْتِعْمَالُ الْبَلَاغَةِ مَعَ عَجَائِزِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ يَحْسَبْنَهَا غَزَلاً... فَمَنْ كَتَبَ لِإِحْدَاهُنَّ فَلَا يَجْعَلَنَّ كِتَابَهُ مُتَقَدِّماً فِي الْأَدَبِ بَلْ مُتَقَدِّماً فِي السَّنِّ...

١٥٩ - لَا تَكُونُ صُورَةُ الْمَرْأَةِ أَجْمَلَ مِنَ الْأَصْلِ إِلَّا عِنْدَ اثْنَيْنِ: الْعَاشِقِ، وَالْمُصَوِّرِ الْمُكْرِهِ عَلَى التَّرْوِيرِ...

١٦٠ - الْمَرْأَةُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ كَيْفَ تَجْعَلُ كِبْرِيَاءَهَا وَسِيلَةً

حُبٍّ، لَا تَجْعَلُهَا إِلَّا وَسِيلَةً مَقْتٍ.

١٦١ - إِذَا أَصَبْتَ زَوْجَيْنِ يَتَمَنَّى أَحَدُهُمَا مَوْتَ الْآخَرِ،
فَلَنْ تَجِدَ لِهَذَا الْآخَرِ عَمَلًا إِلَّا أَنْ يَغِيظَ صَاحِبَهُ كُلَّ يَوْمٍ بِأَنَّهُ لَمْ
يَمُتْ..

١٦٢ - أَعْظَمُ الشُّعْرَاءِ وَأَعْظَمُ الْفَلَاسِفَةِ مَنْ بَلَغَ دَرَجَةَ
الطُّفْلِ.. فِي جَعْلِ حُكْمِهِ عَلَى الدُّنْيَا مِنَ الشُّعُورِ لَا مِنَ الْفِكْرِ.

١٦٣ - تَزُولُ صِفَةُ الْجَمَالِ عَنِ الْحَبِيبِ إِذَا لَمْ يَرَهُ مُحِبُّهُ
مُتَّصِفًا بِهَا؛ وَلَكِنَّ الْمُسْكَلَةَ هِيَ: كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَاهُ غَيْرَ
جَمِيلٍ، وَهُوَ كَأَنَّمَا خُلِقَ مِنْ أَجْلِ عَيْنَيْهِ خَاصَّةً؟.

١٦٤ - أَيُّهُمَا الَّذِي تُحِبُّهُ الْمَرْأَةُ؟ الرَّجُلُ الْقَوِيُّ بِأَنْوَاعِ
الْقُوَّةِ يُعْجِبُهَا فَتَرَاهُ سَيِّدَهَا وَسَيِّدَ قَلْبِهَا، أَمِ الرَّجُلُ الضَّعِيفُ
بِأَنْوَاعِ الضَّعْفِ تَرَى نَفْسَهَا سَيِّدَتَهُ؟
هَذَا هُوَ جَوَابُ طَبِيعَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى طَلَبِ الْمُسَاوَاةِ بَيْنَ
الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

١٦٥ - مِنْ سُخْرِيَةِ الْحَيَاةِ بِالنَّابِغَةِ الْعَبْقَرِيِّ، أَنَّهُ حِينَ

يُؤْخِرُ عَمَلَهُ مِنْ عَجْزٍ أَوْ ضَعْفٍ، يَكُونُ هَذَا هُوَ كُلُّ مَا يَسْتَطِيعُهُ
التَّابِعَةُ الْعَبْقَرِيَّةُ...

١٦٦ - لَوْ اجْتَمَعَ الَّذِينَ مَلَأُوا الدُّنْيَا بِشَهْرَتِهِمْ لَمَّا مَلَأُوا
دَاراً صَغِيرَةً؛ كَأَنَّ مِنْهُمْ مَمَالِكَ لِلتَّارِيخِ كَمَمَالِكِ الْأَرْضِ فَلَا
يَتَسَّعُ إِلَّا لِعَدَدٍ مَحْدُودٍ.

١٦٧ - لَوْ كُنْتُ قَاضِياً وَرُفِعَ إِلَيَّ شَابٌّ تَجَرَّأَ عَلَى أَمْرَاءَ
فَمَسَّهَا أَوْ أَحْتَكَّ بِهَا أَوْ طَارَدَهَا أَوْ أَسْمَعَهَا، وَتَحَقَّقَ عِنْدِي أَنَّ
الْمَرْأَةَ كَانَتْ سَافِرَةً مَذْهُونَةً مَضْقُولَةً مُتَعَطِّرَةً مُتَبَرِّجَةً - لِعَاقَبْتُ
هَذِهِ الْمَرْأَةَ عُقُوبَتَيْنِ؛ إِحْدَاهُمَا بِأَنَّهَا أَعْتَدَتْ عَلَى عِفَّةِ الشَّابِّ...،
وَالثَّانِيَةَ بِأَنَّهَا خَرَقَتْ كَشَفَتِ اللَّحْمَ لِلَّهِرِّ...

١٦٨ - لَنْ يَكُونَ الْإِلْحَادُ مِنَ الْعِلْمِ، فَأَسَاسُ الْعِلْمِ هُوَ
هَذَا: مَا عَرَفْتُهُ فَقَدْ عَرَفْتُهُ، وَمَا لَمْ تَعْرِفْهُ فَلَا أَقْلَ مِنْ أَنْ تُقَرَّرَ
بِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُهُ.

١٦٩ - إِذَا كُنْتُ قَائِداً عَظِيماً فِي أُمَّةٍ ذَلِيلَةٍ فَقَبِيرَةٍ،
أَسْتَطَعْتُ أَنْ تَكُونَ نَبِيّاً فِيهَا بِنَضْبِ شَتَاقَتَيْنِ؛ وَمَا أَسْرَعَ مَا

يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الَّذِي مَعَهُ عِزْرَائِيلَ كَالَّذِي مَعَهُ جِبْرَائِيلُ...

* * *

١٧٠ - لَيْسَ الْمُضْلِحُ مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُفْسِدَ عَمَلَ التَّارِيخِ،
فَهَذَا سَهْلٌ مُيسَّرٌ حَتَّى لِلْحَمَقَى؛ وَلَكِنَّ الْمُضْلِحَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ
التَّارِيخَ أَنْ يُفْسِدَ عَمَلَهُ مِنْ بَعْدُ.

* * *

١٧١ - كُلُّ أَبِي يَضْرِبُ أَوْلَادَهُ الْمَسَاكِينَ هُوَ نَابِلِيُون،
وَلَكِنَّهُ نَابِلِيُون دَارِهِ فَقَطْ...

* * *

١٧٢ - دَجَاجَةُ الْقَفْصِ أَمْرَأَةٌ مُتَحَجِّبَةٌ فِي نَظَرِ الثَّعَالِبِ؛
وَحِجَابُهَا جَهْلٌ وَحِمَاقَةٌ وَرَجَعِيَّةٌ وَتَخَلُّفٌ عَنْ زَمَنِ الثَّعَالِبِ...

* * *

١٧٣ - هُنَا مَسْأَلَةٌ اقْتِصَادِيَّةٌ: فَهَذَا مَسْجِدٌ وَاسِعٌ مَفْتُوحٌ لَا
يُوجَرُ بِإِيجَارٍ يُنْتَفَعُ بِهِ؛ وَهَذِهِ كَنِيسَةٌ قَائِمَةٌ لَا تَسْتَوْفِي الدَّوْلَةَ
عَلَيْهَا ضَرِبَةٌ. أَفَلَيْسَ الْإِصْلَاحُ أَنْ يُحوَّلَ الْمَسْجِدُ دَارَ صِنَاعَةٍ
مِثْلًا، وَتَنْقَلِبَ الْكَنِيسَةُ مِثْلًا (خِمَارَةً)؟

بَلَى أَيُّهَا الْحَاكِمُ! إِنَّ هَذَا هُوَ إِصْلَاحُكَ الطَّبِيعِيُّ مَا دَامَ
عَقْلُكَ كَيْسَ دَرَاهِمٍ، وَمَا دَامَتْ بِلَادُكَ بِلَادَ إِفْلَاسٍ...

* * *

٦

١٧٤ - أَصُوبُ الصَّوَابِ عِنْدَ الْمَافُونِ غَلْطَةٌ تَجْلِبُ لَهُ
الشُّهْرَةُ.

١٧٥ - يَرَى الْمَغْرُورُ أَنَّهُ كَالْمَسْجِدِ، إِذَا هِدَمَهُ النَّاسُ
بَقِيَتْ أَطْلَالُهُ تُصَلِّي وَتُسَلِّمُ عَلَى نَفْسِهَا...

١٧٦ - عَقْلُ التَّمَلُّةِ يُصَوِّرُ لَهَا ظِلَامَ اللَّيْلِ جَيْشًا مِنَ التَّمَلِّ
قَدْ مَلَأَ الْعَالَمَ....

١٧٧ - تَعَدُّ الْأَحْزَابِ فِي أُمَّةٍ تَحْتَاجُ إِلَى الْحُرِّيَّةِ، كَتَعَدُّ
الْأَنْبِيَاءِ فِي أُمَّةٍ تَحْتَاجُ إِلَى الْعَقِيدَةِ؛ إِذَا وُجِدَ فِيهَا نَبِيَانِ كَانَ
اتِّفَاقُهُمَا مَعًا دَلِيلًا عَلَى كَذِبِهِمَا مَعًا، وَكَانَ أَقْلُ مَا فِي اخْتِلَافِهِمَا
أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى كَذِبِ أَحَدِهِمَا. *عن أنس بن مالك*

١٧٨ - إِنَّمَا أَوْضَعَفَ السِّيَاسِيِّينَ فِي الشَّرْقِ أَنَّ رِبْحَهُمْ
وَخِسَارَتَهُمْ مِنَ (الْوِظَائِفِ) لَا غَيْرِ.

١٧٩ - مِنْ مَصَائِبِ هَذَا الشَّرْقِ أَنَّ الْخِصَامَ السِّيَاسِيَّ فِيهِ لَا يَدُلُّ عَلَى سِيَاسَةٍ.. تَبَرَّأَ مَتَّبِعٌ مِنْ تَابِعٍ فَاخْتَصَمَا، فَكَانَا كَرَجُلٍ وَحِدَائِهِ؛ يَقُولُ الرَّجُلُ: أَنَا خَلَعْتُ الْحِدَاءَ، وَيَقُولُ الْحِدَاءُ: بَلْ أَنَا خَلَعْتُ الرَّجُلَ...

* * *

(١٨٠) - إِذَا كَانَتْ الْمُشْكِلَةُ بَيْنَ الذُّبِّ وَالْحَمَلِ، فَلَنْ يَكُونَ حَلُّهَا إِلَّا مِنْ أَحَدِ اثْنَيْنِ: إِمَّا لَحْمُ الْخُرُوفِ، أَوْ عَصَا الرَّاعِي...

* * *

١٨١ - كُلُّ دَجَالٍ لَهُ أَسَالِيْبُهُ الَّتِي صَارَ بِهَا دَجَالًا، وَلَيْسَ لِلْمُنْخَدِعِينَ إِلَّا أَسْلُوبٌ وَاحِدٌ فِي الْعَفْلَةِ؛ وَشَرٌّ مِنَ الشَّرِّ تَعَدُّدُهُ...

* * *

(١٨٢) - إِذَا اضْطَنَعَتْ سَفِيهَا يُسَافِهِ عَنْكَ، فَأَحْذَرِهِ لِلْيَوْمِ الَّذِي لَا يَكُونُ فِيهِ سَفِيهَا إِلَّا عَلَيْكَ.

* * *

١٨٣ - مَنْ أَحْسَنَ تَمَلُّقَ الْمَرْأَةِ أَحْسَنَ إِخْضَاعَهَا لَا تَمَلُّقَهَا.

* * *

١٨٤ - مَا رَأَيْتُ أَمْرَاءَ حَمَقَاءَ إِلَّا كَانَ حُمُقُهَا مِنْ سُخْفِهِ
كَانَتْهُ أَمْرَاءُ أُخْرَى حَمَقَاءَ...

* * *

١٨٥ - إِذَا أَحْبَبْتَ فَفَكَّرْ فِي الْبُغْضِ لَعَلَّهُ يَكُونُ، وَإِذَا
أَبْغَضْتَ فَفَكَّرْ فِي الْحُبِّ لَعَلَّهُ يَعُودُ؛ بِهِذَا وَهَذَا تَكُونُ دَائِمًا
مُحِبًّا وَإِنْ أَبْغَضْتَ.

* * *

١٨٦ - مَا أَعْجَبَ تَنَاقُضَ الْمَرْأَةِ! هِيَ تُرِيدُ أَنْ تَسْتَقِلَّ
فَتَخْرُجَ عَنْ طَاعَةِ الرَّجُلِ، وَهِيَ لَا تَسْعَدُ إِلَّا حِينَ تَجِدُ رَجُلًا
تَشْعُرُ مِنْ حُبِّهِ بِوُجُوبِ طَاعَتِهِ.

* * *

١٨٧ - مِنْ بَلَاءِ الْحُبِّ أَنَّهُ يُنْزِعُ جَمَالَ الْمَحْبُوبِ عَنْ كُلِّ
عَيْبٍ وَكُلِّ نَقْصٍ؛ وَلَكِنَّهُ بِذَلِكَ يَدْفَعُ طَبِيعَةَ الْعُشَّاقِ إِلَى الْبَحْثِ
عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَكُلِّ عَيْبٍ فِي أَعْمَالِ الْمَعْشُوقِ.

* * *

١٨٨ - قَاعِدَةُ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا أَنْ تَنْتَصِرَ
إِرَادَتُهُ وَإِنْ دَلَّتْ كِبْرِيَائُهَا؛ وَقَاعِدَةُ الْمَرْأَةِ مَعَ الرَّجُلِ أَنْ تَنْتَصِرَ
كِبْرِيَائُهَا وَإِنْ دَلَّتْ إِرَادَتُهَا.

* * *

١٨٩ - سُؤَالَ فِيهِ جَوَابُهُ: لِمَاذَا يَكُونُ حِقْدُ الْمَرْأَةِ الْخَائِبَةِ فِي حُبِّهَا حِقْدًا شَدِيدًا عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي أَحَبَّتَهُ حَتَّى كَانَهُ حِقْدُ أُمٍّ عَلَى قَاتِلِ أَطْفَالِهَا...؟

١٩٠ - الْمَرْأَةُ الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا مَنْفِيَّةٌ وَإِنْ كَانَتْ فِي دَارِهَا، لِأَنَّ وَطْنَ قَلْبِهَا الرَّجُلُ.

١٩١ - إِذَا أَسْتَسَلَمَتِ الْمَرْأَةُ لِمُحِبِّهَا ظَنَّتِ الْحُبَّ قَدْ ابْتَدَأَ، وَعَلِمَهُ الرَّجُلُ قَدْ ابْتَدَأَ يَنْتَهِي... أَذَاكَ فَرْقٌ مَا بَيْنَهُمَا فِي الْحُبِّ أَمْ فَرْقٌ مَا بَيْنَهُمَا فِي الظُّلْمِ؟

١٩٢ - مَا أَعْجَبَ هَذَا! أَرَادَتْ حَبِيبَةً ظَرِيفَةً أَنْ تَكُونَ مَرَّةً سَخِيفَةً عِنْدَ مُحِبِّهَا، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَكُونَ سَخِيفَةً إِلَّا كَمَا يُحِبُّ.

١٩٣ - مَا هُوَ السُّلْوَانُ فِي الْحُبِّ؟ هُوَ رَجُوعُ الْعَقْلِ مِنْ سَفَرِهِ الْخَيَالِيِّ فِي جِسْمِ الْمَحْبُوبِ.

١٩٤ - الرَّذِيلَةُ الصَّرِيحَةُ رَذِيلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكِنَّ الْفَضِيلَةَ الْكَاذِبَةَ رَذِيلَتَانِ.

١٩٥ - يَرَى الْمُلْحِدُونَ أَنَّ مِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَعْمَلُوا فِي
النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ كَمَا يَعْمَلُ أَهْلُ الدِّينِ؛ فَهَلْ مِنْ حَقِّ أَصَابِعِ
الرَّجُلَيْنِ أَنْ تَمْشِيَ عَلَى الْبَيَّانَةِ^(١) كَأَصَابِعِ الْيَدَيْنِ؟

* * *

١٩٦ - لِكُلِّ إِنْسَانٍ عَقْلٌ تَحْكُمُهُ الْغَرِيزَةُ، وَحَقِيقَةُ الدِّينِ
أَنْ يَكُونَ لِلْغَرِيزَةِ عَقْلٌ يَحْكُمُهَا.

* * *

١٩٧ - إِذَا جِئْتَ بِالنُّكْتَةِ وَبَالَغْتَ فِيهَا، كُنْتَ كَمَنْ أَضَاءَ
الْمِضْبَاحَ وَأَطْفَأَهُ حِينَ أَضَاءَ.

* * *

٧

(١٩٨) - لَيْسَ فِي الشَّرَفِ كَأْدَاءُ الْوَاجِبِ بِشَرَفٍ.

* * *

١٩٩ - الْوَعْدُ السِّيَاسِيُّ جَرِيءٌ فِي الْكُذْبِ، جَرِيءٌ فِي
الاعْتِدَارِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَعْدُ بِإِحْضَارِ الْقَمَرِ حِينَ يَسْتَغْنِي عَنْهُ اللَّيْلُ

(١) هي تعريب (البيانو) وَجَمْعُهَا بَيَانَاتُ بِكسر الباء.

في آخِرِ الشَّهْرِ... فَإِذَا لَمْ يَجِئُوا بِهِ قَالُوا: سَيَتْرُكُهُ اللَّيْلُ فِي
الشَّهْرِ الْقَادِمِ.

* * *

٢٠٠ - الزَّمَنُ ضَعِيفٌ فِي نُصْرَةِ الضَّعِيفِ؛ فَإِذَا قَالَتْ دَوْلَةٌ
أُورُوبِيَّةٌ لِدَوْلَةٍ شَرْقِيَّةٍ: سَادَعُكَ فِي سَنَةِ (كذا)، فَمَعْنَاهَا فِي سَنَةِ
(دائماً) التي لا أَعْرِفُهَا لَا أَنَا وَلَا أَنْتَ وَلَا الزَّمَنُ...

* * *

٢٠١ - كَمَا تَضْرِبُ السِّيَاسَةُ بِقَنَابِلٍ حَشُوهَا الْبَارُودُ
وَالرِّصَاصُ؛ تَضْرِبُ بِقَنَابِلٍ حَشُوهَا الْمَطَامِيعُ وَالْمَنَاصِبُ...

* * *

٢٠٢ - لَا يَجِيءُ الْإِتِّحَادُ الْقَوِيُّ مِنْ وَحْدَةِ الْأَحْزَابِ
الْمُخْتَلِفَةِ، وَلَكِنْ مِنْ وَحْدَةِ الْحَالَةِ الْوَاحِدَةِ فِي الْأَحْزَابِ
الْمُخْتَلِفَةِ.

* * *

٢٠٣ - لِلْسِّيَاسَةِ أحياناً أُسْلُوبٌ كَأُسْلُوبِ الْمَرْأَةِ ذَاتِ
الْعُشَاقِ؛ إِذَا وَافَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَلَى النِّكَايَةِ بِهَا، فَرَّقَتْ بَيْنَ
حُظُوظِهِمْ مِنْهَا، فَمَا أَسْرَعَ مَا يَخْتَلِفُونَ.

* * *

٢٠٤ - قَالَ ذَنْبٌ سِيَاسِيٌّ لِخُرُوفٍ سِيَاسِيٍّ: أُرِيدُ الْإِتِّفَاقَ مَعَكَ (حَالاً). فَقَالَ الْخُرُوفُ: وَيْلَكَ! إِذَا كُنْتُ أَنْتَ ذَنْباً لِلْحَيَمِي، فَهَلْ تَكُونُ (حَالاً) هَذِهِ إِلَّا ذَنْباً آخَرَ لِعُمْرِي؟

(٢٠٥) - لَمْ يُضَيِّعِ الشَّرِيقِينَ ضَعْفُ الْقُوَّةِ أَكْثَرَ مِمَّا ضَيَّعَهُمْ ضَعْفُ الْبَصِيرَةِ.

٢٠٦ - تَالَلَهُ مَا أَذَلَّ الشَّرْقَ إِلَّا هَذَا التَّصَوُّفُ، وَتَالَلَهُ مَا يُعِزُّ الشَّرْقَ إِلَّا هَذَا التَّصَوُّفُ بِعَيْنِهِ، إِذَا انْتَقَلَ عَنْ رَجَالِهِ إِلَى رَجَالِ الْمَالِ وَالْحُكْمِ وَالسِّيَاسَةِ.

٢٠٧ - كُنْتُ مَرَّةً فِي ضِيَاةِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى مَعَ أَحَدِ عُلَمَاءِ الْفِقْهِ، وَذَهَبْنَا مَعَ الْقُرَوِيِّ إِلَى أَرْضِهِ وَفِيهَا نَخْلَةٌ مُتَهَافَتَةٌ لَيْسَ أَهْوَنُ مِنْهَا عَلَى صَاحِبِهَا. فَقَالَ لَهُ الْفَقِيه: أَحِبُّ أَنْ تَهَبَ لِي هَذِهِ النَّخْلَةَ فِي مَغْرِسِهَا بِحُدُودِهَا الْأَرْبَعَةِ. قَالَ: قَدْ وَهَبْتُهَا لَكَ. قَالَ الْفَقِيه: بِحُدُودِهَا الْأَرْبَعَةِ؟ قَالَ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ: نَعَمْ.

فَقَالَ لَهُ الْفَقِيه: الْآنَ وَهَبْتَ لِي أَرْضَكَ كُلَّهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا شَرْعاً.. فَهَذَا فَضَاءٌ وَلَا حُدُودَ لِلنَّخْلَةِ إِلَّا آخِرُ مَا تَمْلِكُ مِنْهُ فِي الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ. هَكَذَا يَمْلِكُ دُهَاءُ الْفِقْهِ السِّيَاسِيِّ الْبِلَادَ

العَرِيضَةُ إِذَا مَلَكُوا وَلَوْ نَخْلَةً فِيهَا، غَيْرَ أَنَّهُمْ يُسْمُونَ حُدُودَ
النَّخْلَةِ «تَحَفُّظَات» النَّخْلَةِ...

* * *

٢٠٨ - يَكَادُ يُقَالُ الْيَوْمَ إِذَا عُدَّتِ الْعَنَاصِرُ الْأَرْضِيَّةُ: إِنَّهَا
النَّارُ وَالْمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالتُّرَابُ وَالْأُسْطُولُ الْإِنْكَلِيزِيُّ...

* * *

٢٠٩ - كُلُّ مَا أَسْتَعْنَتْ بِهِ عَلَى الْحَبِيبِ الْمَلُولِ، أَعَانَ
الْمَلَلُ فِي نَفْسِهِ.

* * *

٢١٠ - لَا تُعَاتِبْ حَبِيبَكَ الَّذِي مَلَّ، فَإِذَا مَرِضَ الْحُبُّ
مَاتَ الْعِتَابُ.

* * *

٢١١ - أَكْثَرُ صَبْرِ الْعُشَّاقِ مِنْ قِلَّةِ الْحِيلَةِ...

* * *

٢١٢ - كَذِبُ الْحَبِيبِ كَذِبٌ مُرٌّ، لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْقَمْرِ
الْحُلُوفِ.

* * *

٢١٣ - جَمَالُ التَّوَاضُعِ فِي الصَّدِيقِ أَنْ يَسْتَمِرَّ دَائِمًا فِي
شَكْلِ تَوَاضُعٍ، وَجَمَالُ الْخُضُوعِ فِي الْحَبِيبِ أَلَّا يَسْتَمِرَّ دَائِمًا فِي
شَكْلِ خُضُوعٍ.

* * *

٢١٤ - تَنْظُرُ الْمَرْأَةُ بِقَلْبِهَا إِلَى أَشْيَاءَ لَا تَرَاهَا بِعَيْنِهَا.

٢١٥ - أَحْتَرِسَ فِي الْعَدَاوَةِ مِمَّا تَبْدَأُ بِهِ الْعَدَاوَةُ؛ وَأَحْتَرِسَ فِي الْحُبِّ مِمَّا يَنْتَهِي بِهِ الْحُبُّ.

٢١٦ - لَا تَنْسَى الْإِسَاءَةَ أَمْرًا لِأَنَّهَا قَلِيلًا مَا تَذْكُرُ الْحَسَنَةَ.

٢١٧ - كَيْفَ تَتَحَرَّرُ الْمَرْأَةُ إِذَا كَانَ حُكْمُ الطَّبِيعَةِ أَنَّ أَفْضَلَ مَا تُحَرَّرُ بِهِ نَفْسُهَا أَنْ تَجِدَ مَنْ تُقَيِّدُ بِهِ نَفْسَهَا؟

٢١٨ - يَا وَيْلَ الْمَرْأَةِ مِنْ قَلْبِهَا حِينَ يَكُونُ مَحْرُومًا! يَا وَيْلَ الْمَرْأَةِ مِنْ قَلْبِهَا حِينَ يَكُونُ فِيهَا كَالْمَنْفِيِّ فِي غُرْبَةٍ!

٢١٩ - أَبَتِ الدُّنْيَا أَنْ تُفَسِّرَ كُلَّ عَجِيْبَةٍ إِلَّا بِمَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْهَا. وَهَذِهِ هِيَ الْعَجِيْبَةُ.

٢٢٠ - لَوْ كَانَتِ اللَّذَّةُ فِي اللَّذَّةِ نَفْسُهَا لَمَا شَقِيَ أَحَدٌ، وَلَتَيَسَّرَتْ لِكُلِّ النَّاسِ كَمَا تَيَسَّرَتْ لِكُلِّ الْبَهَائِمِ؛ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

اللَّذَاتِ لَا يَلْدُ إِلَّا فِي التَّرْكِيبِ الْوَهْمِيِّ الَّذِي أَكْثَرُهُ فِي الْحَيَالِ
وَأَقْلُهُ فِي الْوَاقِعِ.

٢٢١ - مَا دَامَتْ أَخْلَاقُ الْبَهَائِمِ فِي النَّاسِ، فَصَلَحُ
الْإِنْسَانِيَّةِ سَيَقَى دَائِمًا فِي هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ: الرَّاعِي، وَالْحَبَلِ،
وَالْعَصَا... الْعِرَاقُ مَثَلًا

٢٢٢ - مِنْ لُؤْمِ الْكَذِبِ وَشَرِّهِ أَنَّكَ لَوْ صَدَقْتَ بِكَلِمَتَيْنِ
وَكَذَبْتَ بِثَلَاثَةٍ، كُنْتَ كَأَنَّكَ صَدَقْتَ بِاثْنَتَيْنِ وَكَذَبْتَ بِثَلَاثٍ.

٢٢٣ - كَيْفَ تَصْلُحُ الدُّنْيَا وَفِي كُلِّ أَرْضٍ يَعْمَلُ عَلَى
عَكْسِ قَوَائِمِهَا قَانُونُ الْجَوِّ وَقَانُونُ الْأَرْضِ؟

٢٢٤ - شَقَاءُ الْعَبْقَرِيِّ مِنْ نَفْسِهِ؛ فَإِنْ ظَلَّ يَعْمَلُ تَعَبَتْ بِهِ،
وَإِنْ تَرَكَ الْعَمَلَ تَعَبَ بِهَا.

٢٢٥ - أَيْنَ الْحَقِيقَةُ الْكَامِلَةُ مِنَ الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ وَنَحْنُ
نَرَى كُلَّ عَقْلٍ لَا يُعْطَى مِنْهَا إِلَّا قَدْرًا مَا يَسْعُ مِنْهَا؟

٢٢٦ - أَسْكُتْ عَنِ السَّفِيهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَّا يَجْعَلُهُ كَرِيمًا
مِثْلَكَ لَا يَجْعَلُكَ لَيْمًا مِثْلَهُ.

٢٢٧ - قِيلَ لِمَغْرُورٍ مُتَكَبِّرٍ يُخْنِخُنُ فِي خَيَاشِيمِهِ^(١) إِذَا
تَكَلَّمَ: لِمَاذَا تَتَكَلَّمُ مِنْ أَنْفِكَ؟ قَالَ: لِأَنِّي لَا أَجِدُ فِي الْعَالَمِ مَنْ
أَكَلَّمُهُ بِمِلٍّ فَمِي....
لَوْ رَدَّ الْعَالَمُ عَلَى هَذَا الْمَغْرُورِ لَقَالَ لَهُ: كُلُّ الْحَمِيرِ
تَنْهَقُ بِمِلٍّ أَفْوَاهِهَا إِلَّا أَنْتَ...

٢٢٨ - إِذَا صَغُرَتِ النَّفْسُ مِنْ لَوْمِ صَاحِبِهَا، كَبُرَتْ يِلْسَانِ
صَاحِبِهَا.

٢٢٩ - الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ لِلرَّجُلِ الْمُضْحِكِ جِدًّا، هِيَ أَنْ
يُظْهِرَ نَفْسَهُ عَظِيمًا جِدًّا.

(١) يخرج الكلام من أنفه أخن فلا يبين فيه.

الرافعي

بقلم

أديب العربية الكبير
وحامل الراية بعد الرافعي
أبي فخر
محمود بن محمد شاكر

التعريف

بمحمود بن محمد شاکر

(١٠ محرم ١٣٢٧ - ٣ ربيع الآخر ١٤١٨ هـ فبراير

شباط ١٩٠٩ - ٧ أغسطس / آب ١٩٩٧ م)

جاء في أول كتاب «دراسات عربية وإسلامية» (*) مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهد محمود أحمد شاکر بمناسبة بلوغه السبعين، القاهرة، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م؛ سيرة حياته، تلاها قائمة لأعماله؛ ولأهميتهما ولكون الأستاذ شاکر رحمه الله تعالى حامل الراية بعد الرافعي رحمه الله تعالى، أوردهما في ما يلي، مع بعض إضافات قليلة اقتضاها مرور الزمن:

(*) راجع كذلك «شيخ العربية وحامل لوائها أبو فهد محمود محمد شاکر، بين الدرس الأدبي والتحقيق» تأليف محمود إبراهيم الرضواني، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٥ م.

أبو فھر محمود محمد شاکر

سيرة حياته:

محمود بن محمد شاکر بن أحمد بن عبد القادر، من أسرة أبي عليّاء من أشراف جرّجاً بصعيد مصر، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن عليّ رضي الله عنه.

● وُلِدَ في الإسكندرية الساعة السادسة العربية من ليلة عاشوراء الاثنين عاشر المحرم سنة ١٣٢٧ للهجرة، الموافق الساعة الثانية عشرة الإفرنجية أول فبراير/شباط سنة ١٩٠٩م الميلادية.

● انتقل إلى القاهرة في صيف عام ١٩٠٩م بتعيين والده وكيلاً للجامع الأزهر (١٩٠٩ - ١٩١٣م) وكان قبل ذلك شيخاً لعلماء الإسكندرية.

● تلقّى أول مراحل تعليمه في مدرسة الوالدة أم عبّاس في القاهرة سنة ١٩١٦م.

● بعد ثورة سنة ١٩١٩م انتقل إلى مدرسة القريّة بدرب الجمّاميز.

● في سنة ١٩٢١م دَخَلَ المدرسة الخديوية الثانوية.

● مع بداية عام ١٩٢٢م قرأ على الشيخ سيّد بن علي

المَرَصْفِي، صاحب «رَغْبَةِ الْأَمَل»، فَحَضَرَ دروسه التي كان يلقيها بعد الظهر في جامع السلطان بَرْقُوق، ثم قرأ عليه في بيته: «الكَامِل» للمُبَرِّد، و «حَمَاسَةُ أَبِي تَمَّام»، وشيئاً من «الْأَمَالِي لِلْقَالِي»، وبعض أشعار الهَذَلِيِّين. واستمرت صلته بالشيخ المَرَصْفِي إلى أن توفي، رحمه الله، في سنة ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣١ م.

● حصل على شهادة البكالوريا (القسم العلمي) عام ١٩٢٥ م.

● في سنة ١٩٢٦ م التحق بكلية الآداب - الجامعة المصرية (قسم اللغة العربية) واستمر بها إلى السنة الثانية، حيث نَشَبَ خلافٌ شديدٌ بينه وبين أستاذه الدكتور طه حسين حول مَنهج دراسة الشعر الجاهلي، كما بيَّنه في مقدمة الطبعة الثانية من كتاب «الْمُتَنَبِّي»، وترتَّب على ذلك تركه الدراسات الجامعية.

● في سنة ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٨ م ترك الجامعة وسافر إلى الحجاز مهاجراً، فأنشأ - بناءً على طلبٍ من الملك عبد العزيز آل سعود - مدرسة جدة السعودية الابتدائية وعمل مديراً لها، ولكنه ما لبث أن عاد إلى القاهرة في أواسط عام ١٩٢٩ م.

● بعد عودته إلى القاهرة انصرف إلى الأدب والكتابة، فكتب في مجلتي «الْفَتْح» و «الزَّهْرَاء» لصاحبهما الأستاذ محب الدين الخطيب، وأكثر ماله فيهما الشعر، وكان من كتّابهما منذ كان طالباً.

● بدأت صلته بالعلماء، منذ شبَّ في بيت أبيه، فعرف السياسيين والعلماء الذين كانوا يتردّدون على والده، كما اتصل مباشرةً بعلماء العصر، أمثال: محبّ الدين الخطيب، وأحمد تيمور باشا، والشيخ محمد الخضر حسين، وأحمد زكي باشا، والشيخ إبراهيم أطفيش، ومحمد أمين الخانجي وغيرهم، كما تعرّف إلى الشاعر أحمد شوقي، وكان يلتقي به في الأماكن العامة التي كان الشاعر الكبير يتردّد عليها.

● راسل الأستاذ مصطفى صادق الرافعي منذ سنة ١٩٢١م، وهو طالب في السنة الأولى الثانوية، طلباً للعلم واتّصلت المعرفة بينهما، وظلّت هذه الصلة وثيقة إلى وفاة الرافعي، رحمه الله، في سنة ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧م، فحزن عليه حزناً شديداً صرفه عن استكمال ردوده على الدكتور طه حسين في موضوع المتنبي التي كانت تنشر في جريدة البلاغ.

ومكانة الرافعي عنده يوضّحها تقديمه لكتاب سعيد العريان عن حياة الرافعي^(*)، وقد ظلّت هذه الرابطة بينهما تحول سنين عديدة دون التواصل بينه وبين الأستاذ العقّاد، ثم صارت بينه وبين الأستاذ العقّاد صحبة وصداقة عميقة بعد ذلك.

● تعاطف مع الحزب الوطني القديم، فقد كانت هناك صلة بين والده والزعيم مصطفى كامل، كما كان شقيقه الشيخ علي محمد شاكر عضواً عاملاً بالحزب الوطني، فصحب شباب

(*) وقد أوردت هذه المقدّمة في ما يلي بعد هذا التعريف. بسام.

الحزب الوطني واتَّصل برجاله ومنهم: حافظ رمضان، وعبد الرحمن الرافعي، وأحمد وفيق، والدكتور محجوب ثابت، والشيخ عبد العزيز جاويش.

● صاحب فكرة «جمعية الشُّبَّان المسلمين»، ولكنه تركها لاختلافه مع السيد محب الدين الخطيب وأحمد تيمور باشا والدكتور عبد الحميد سعيد، على الصورة التي صارت إليها.

[راجع ما كتبه عن فكرته وموقفه في مجلة «الفتح» عدد ١٦ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ].

● بدأ الكتابة في مجلة «المقتطف» منذ سنة ١٩٣٢م ثم في مجلتي «الرسالة» و «البلاغ»، ولكنه كان على صلة دائمة بالرسالة في كتابة متقطعة إلى أن توقَّفت عن الصدور.

● في سنة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م أَخَذَ امتياز إصدار مجلة «العُصُور» من الأستاذ إسماعيل مَظْهَر، لتصدر أسبوعية بعد أن كانت شهرية، وصدر منها عددان الأول في ٢٧ رمضان ١٣٥٧ هـ / ١٩ / نوفمبر ١٩٣٨م، والثاني في ١٧ شوال ١٣٥٧ هـ / ٩ / ديسمبر ١٩٣٨م ثم توقفت عن الصدور بعد أن كان قد دَفَعَ بعدها الثالث إلى المطبعة، وكان مقرها:.. شارع الإسماعيلية (عمر بن الخطاب) بمصر الجديدة.

● في هذه الفترة قامت صداقة عميقة وعلاقة وطيدة بينه وبين كل من الكاتب الكبير الأستاذ يحيى حقي، والشاعر العظيم الراحل محمود حسن إسماعيل، وكان كل منهما يعتبر الأستاذ شاكراً إماماً عليماً بأسرار البيان العربي في شعره ونثره

ومرجعاً حياً للثقافة العربية في مجموعها يأنسان إلى ذخيرته في إبداعهما الأدبي، وقد عبّر كل منهما عن تلك الرابطة في أكثر من مقام من مقامات القول، منها: قصيدة الأستاذ محمود حسن إسماعيل في تقديم «القوس العذراء»، كما ذكر الأستاذ يحيى حقي في بعض أحاديثه الصحفية أنه قرأ أمهات كتب الأدب العربي على الأستاذ شاكر.

● بناءً على دعوة من صديقه فؤاد صرّوف، صاحب المقتطف، ساهم في اختيار وترجمة مواد مجلة «المختار» بدءاً من عددها الثاني، ولكنه توقّف بعد قليل.

● وفي الفترة القليلة التي شارك فيها في إخراج «المختار» استطاع أن يقدّم مستوى للترجمة الصحفية لم يُعرف من قبل، وأدّخل عدداً من المصطلحات الجديدة في اللغة للتعبير عن وسائل واختراعات حديثة من نوع «الطائرة النفاثة». وما زال عددٌ من الصحفيين الحاليين يعتبرون عناوين «المختار» التي كان يصوغها نموذجاً يحتذى في هذا الباب.

● في أوائل الأربعينات تعرف على الأستاذ فتحي رضوان، وبدأت صلته بالحزب الوطني الجديد في سنة ١٩٥٠م، وساهم بالكتابة في مجلة «اللواء الجديد».

● انقطع عن الكتابة في الصحف والمجلات، بعد إغلاق الرسالة القديمة في سنة ١٩٥٢م، وتفرّغ للعمل بالتأليف والتحقيق ونشر النصوص، فأخرج جملة من أمهات الكتب العربية مثل: «تفسير الإمام الطبري» (ستة عشر جزءاً)، و

«طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سَلَام الجُمَحِيّ، «وجمهرة نسب قریش» للزبير بن بَكَّار، وشارك في إخراج: «الوحشيات» لأبي تَمَّام، و «شرح أشعار الهذليين».

ونشر في عام ١٩٥٢م قصيدته «القوس العذراء»، التي تعدّ معلماً على طريق الشعر الحديث رَغْم التزامها بحراً متساوي الشطرين ومحافظتها على وحدة القافية. ثم أعاد نشرها مرة ثانية في سنة ١٩٦٤م.

كما ألف كتابه الشهير «أباطيل وأسَمَار» وهو مجموعة مقالات (٢٥ مقالة) كتبها في مجلة الرسالة الجديدة، ثم طبعت مرتين، المرة الأولى سنة ١٩٦٥م وصدر مجلد واحد (فيه قسم من المقالات) وصدر المجلد الثاني. والمرة الثانية سنة ١٩٧٢م في مجلدين ضمّاً جميع المقالات.

وكان سبب كتابة هذه المقالات التعليق على ما نشره الدكتور لويس عوض، المستشار الثقافي لجريدة الأهرام القاهرية حينذاك، في جريدة الأهرام بعنوان «على هامش الغفران»، وذهب فيما نشره إلى تأثر المعري بحديث الإسراء والمعراج، كما ألمح فيه إلى أثر الأساطير اليونانية وغيرها في الحديث النبوي، مما دفع الأستاذ محمود شاعر إلى بيان تهافت كلام لويس عوض وجهله وافترائه، ثم انتقل إلى الكلام عن الثقافة والفكر في العالم العربي والإسلامي وما طرأ عليهما من غزو فكري غربي ولا سيما حركة التبشير التي غزت العالم العربي والإسلامي، وما تنطوي عليه هذه الحركة من أساليب ووسائل، وقاده البحث إلى تناول قضايا هامة بحيث يعد

«أباطيل وأسمار» من أهم كتبه، بل من أهم الكتب التي ظهرت في المكتبة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين.

وأعاد طبع كتابه الإمام عن «المتنبي» الذي نُشر كعددٍ مستقل من المقتطف سنة ١٩٣٦م، وقد أثار الكتاب ضجةً كبيرة حين صدوره بمنهجه المبتكر وأسلوبه في البحث والإبداع، ومقدمته التي عنوانها: «لمحة من فساد حياتنا الأدبية» التي تناولت بكل صراحة ما اعترى الحياة الأدبية في النصف الأول من القرن العشرين من فساد، وما أصاب أجيال المثقفين من تفريغ، تولى كِبَرُه واضع نظم التعليم في مصر، المبشر «دلوب»، الذي سيطر سيطرة تامة على التعليم، والذي لا تزال آثاره باقية على أشنع صورة في نظمنا التعليمية.

● في الفترة التي صاحبت انتقاله إلى مسكنه في شارع السباق ثم إلى مسكنه في شارع حسين المرصفي بضاحية مصر الجديدة، بدأت أجيالاً من دارسي التراث العربي المعنيين بالثقافة الإسلامية، من كافة أرجاء العالم الإسلامي، يختلفون إلى بيته، ويترددون على مجالسه العلمية يأخذون عنه ويفيدون من علمه ومكتبته الحافلة التي يسرّها للدارسين والباحثين ومنهم: الدكتور ناصر الدين الأسد، والدكتور إحسان عباس، والدكتور شاکر الفحام، والأستاذ أحمد راتب النفاخ، والدكتور محمد يوسف نجم.

● في سنة ١٩٥٧م أسّس - مع الدكتور محمد رشاد سالم والأستاذ إسماعيل عبيد - مكتبة دار العروبة، لنشر كنوز الشعر العربي، ونوادير التراث، وكُتُب بعض المفكرين. وباعتقاله

هو وشريكه في ٣١ أغسطس/آب ١٩٦٥م تم وضعها تحت الحراسة.

● شارك في عدد من المؤتمرات والملتقيات العربية فحضر «مؤتمر الأدباء العرب» في بغداد سنة ١٩٧٠م، ودُعي إلى حضور الدروس الرمضانية التي تعقد في ليالي رمضان في القصر الملكي بالرباط بالمملكة المغربية (رمضان ١٣٩٥ هـ).

كذلك لبي دعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وألقى سلسلة من المحاضرات عن «الشعر الجاهلي» صدرت في كتاب بعنوان «قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام الجمحي».

وحالت ظروفه دون تلبية كثير من الدعوات لحضور مؤتمرات وملتقيات عربية وإسلامية كثيرة.

● انتخب عضواً مراسلاً في «مجمع اللغة العربية بدمشق» في سنة ١٩٨٠م.

● اعتقل مرتين في زمن حكم الرئيس جمال عبد الناصر: الأولى لمدة تسعة أشهر في الفترة بين ٩ فبراير/شباط ١٩٥٩م إلى أكتوبر/تشرين الأول ١٩٥٩م. والثانية لمدة ثمانية وعشرين شهراً من ٣١ أغسطس/آب ١٩٦٥م وحتى ٣٠ ديسمبر/كانون الأول ١٩٦٧م (٣٠ رمضان ١٣٨٧ هـ).

● كرّمته الدولة فأهدته «جائزة الدولة التقديرية في الآداب» عن عام ١٩٨١ تقديرًا لجهوده وإسهاماته المتعددة في

خدمة تراث الإسلام، ودرايته الواسعة بعلوم العربية، ومكانته المتميزة في تاريخ الفكر الإسلامي.

وتسلّم الجائزة في احتفال أقيم مساء يوم الثلاثاء ٨ رمضان ١٤٠٢ هـ = ٢٩ يولية/ حزيران ١٩٨٢ م.

توفي في ٣ شهر ربيع الآخر ١٤١٨ هـ = ٧ أغسطس/ آب ١٩٩٧ م.

مؤلفاته وتحقيقاته:

١٩٢٦م

● «يوم تهطل الشجون» (قصيدة)، الزهراء ٣ (١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦م) ١٦٢ - ١٦٥.

١٩٢٧م

«رواد اليمن من الأوروبيين» (محاضرات ألقاها كارلو ألفونسو نلينو في الجامعة المصرية عن تاريخ اليمن القديم، وكتبها سماعاً منه محمود محمد شاكر)، الزهراء ٣ (١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧م) ٥٠٢ - ٥٠٩.

«المشتغلون بدرس الآثار اليمنية، من محاضرات العلامة كارلو نلينو في الجامعة المصرية»، الزهراء ٣ (١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧م) ٥٦٢ - ٥٧٠ و ٦٣٢ - ٦٣٨.

«الناسخون الماسخون»، الزهراء ٤ (١٣٤٦ هـ = ١٩٢٧م) ٢٤٥.

١٩٢٨م

«إكمال ثلاثة خروم من كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه للبكري»، الزهراء ٤ (١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨م) ٣٦٢ - ٣٦٧.

(*) العناوين التي قبلها الدائرة ● هي القصائد، والتي قبلها النجمة * فهي نصوص محققة، أما التي قبلها نجمتان * * فهي كتب مؤلفة، وفيما عدا ذلك يعتبر مقالات متنوعة.

«النجم الواتر والصبح الثائر» (قصيدة)، الزهراء ٤ (١٣٤٦ هـ = ١٩٢٨ م) ٥٤٢ - ٥٤٣.

● «كلمة مودّع» (قصيدة)، الزهراء ٥ (١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م) ٣٣.

«من خط البغدادي»، الزهراء ٥ (١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م) ٤٢٧.

١٩٣٠ م

«كتاب الأم للإمام الشافعي»، البلاغ ١٩٣٠ م.

١٩٣٢ م

«أدب الجاحظ» للسندوبي و «الصاحب بن عباد» لخليل مردم، المقتطف ٨١ (١٩٣٢ م) ٤٩١ - ٤٩٢.

١٩٣٣ م

«صانعة الدموع» (قصيدة)، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣) ٢١١ - ٢١٢.

«عصر إسماعيل» لعبد الرحمن الرافعي، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣ م) ٢٣٤ - ٢٣٥.

«أبو نواس» لعمر فروخ، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣ م) ٢٤٠ - ٢٤١.

«ضحى الإسلام» لأحمد أمين، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣ م) ٣٦٠ - ٣٦٥.

- «الشريف الكتاني»، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣م) ٤٨٣ - ٤٨٦.
- «نابغة بني شيان»، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣) ٤٩٦ - ٤٩٨.
- «حافظ وشوقي» لطف حسين، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣) ٦٢٧.
- «الرثاء في شعر أبي تمام والبحري» لأديبة فارس، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣) ٦٢٧ - ٦٢٨.
- «الخط الكوفي» ليوسف أحمد، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣) ٦٢٨.
- «صلاح الدين وشوقي» لمحمد إسعاف النشاشيبي، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣) ٦٢٨ - ٦٢٩.
- «الشخصية»، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣م) ٦٢٩.
- «أمير الشعراء شوقي» لمحمد خورشيد، المقتطف ٨٢ (١٩٣٣م) ٦٣٠.

١٩٣٤م

*) «فَضْلُ الْعَطَاءِ عَلَى الْعُسْرِ» لأبي هلال العسكري، ضبطه وصححه وعلق عليه محمود محمد شاكر، القاهرة - المطبعة السلفية ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤م.

- «الرسول ﷺ»، الرسالة ٢ (١٩٣٤م) ١٠٩٥.
- «جمعية الشبان المسلمين»، مجلة الفتح عدد ١٦ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ = ٢٩ يونية/حزيران ١٩٣٤م.
- «حاضر العالم الإسلامي» لوثرروب ستودارد، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٣٥٩ - ٣٦١.

«ذكرى الشاعرين» لأحمد عبيد، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٣٦١ - ٣٦٢.

«ماضي الحجاز وحاضره» لحسين محمد نصيف، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٣٦٢ - ٣٦٣.

«الوحي المحمدي» لمحمد رشيد رضا، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٣٦٣ - ٣٦٥.

«ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم» لأمين محمد سعيد، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٤٨٤ - ٤٨٥.

«ابن عبد ربه وعقده» لجبرائيل سليمان جبور، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٤٨٥ - ٤٨٧.

«رحلة إلى بلاد المجد المفقود» لمصطفى فروخ، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٤٨٧ - ٤٨٨.

«تنبيهات اليازجي على محيط البستاني» لسليم شمعون، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٤٨٨ - ٤٨٩.

«أنتم الشعراء» لأمين الريحاني، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٦١٣ - ٦١٤.

«تاريخ مصر الإسلامية» لإلياس الأيوبي، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٦١٥ - ٦١٨.

«آلاء الرحمن في تفسير القرآن» لمحمد جواد البلاغي النجفي، المقتطف ٨٣ (١٩٣٤م) ٦١٨ - ٦٢٠.

«ابن خلدون، حياته وتراثه الفكري» لمحمد عبد الله عنان، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ١٠٩ - ١١١.

«قلب جزيرة العرب» لفؤاد حمزة، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ١١١ - ١١٢.

«مفتاح كنوز السنة»، فنسك، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ٢٥٠ - ٢٥٢.

«ملوك الطوائف» لدوزي، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ٢٥٢ - ٢٥٤.

«الينبوع» نظم أحمد زكي أبو شادي، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ٣٨٠ - ٣٨١.

«صاحب المسحاة» (قصيدة) لادوين ماركهام - نقلها بتصرف يسير، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ٤٩٤ - ٤٩٥.

«النثر الفني في القرن الرابع الهجري» لزكي مبارك، المقتطف ٨٤ (١٩٣٤م) ٥١١.

«ديوان عبد المطلب»، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م) ١١٤ - ١١٥.

«مرشد المعلم» لجون آدمز وترجمة محمد أحمد الغمراوي، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م) ١١٦ - ١١٧.

«مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام» لمحمد عبد الله عنان، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م) ١١٧ - ١١٨.

«جنة العاملين» لرابندراناث طاغور، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م) ٣٥٣ - ٣٥٥.

«القارئ يناجي شاعره» لرتشرد لاغالين، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م) ٣٥٥.

«رحمة الله عليها» لأوسكار وايلد، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م)

٥٠٤.

● «الشباب والشيخوخة» (قصيدة) لروبنسن جفرز - أفرغها في القالب العربي، المقتطف ٨٥ (١٩٣٤م) ٥٠٥.

✓ «المستدرك على ذيل زهر الآداب» وهي تصحيحات لطبعة «ذيل زهر الآداب» لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، التي نشرها محمد أمين الخانجي، عام ١٣٥٣هـ، المطبعة الرحمانية بمصر.

١٩٣٥م

«الإسلام والحضارة العربية» لمحمد كرد علي، المقتطف ٨٦ (١٩٣٥م) ١٠٩ - ١١٢.

«تطور الأساليب النثرية» لأنيس المقدسي، المقطم عدد يونية/ حيران ١٩٣٥م، [رد مؤلفه على الأستاذ شاكر، المقطم عدد ١٣ أغسطس/ آب ١٩٣٥م، ورد الأستاذ شاكر عليه، المقطم عدد ٢٠ أغسطس/ آب ١٩٣٥].

١٩٣٦م

*** «أبو الطيب المتنبي»، المقتطف ٨٨ (١٩٣٦م) ١ - ١٦٨ (عدد خاص) [مصطفى صادق الرافعي: «المقتطف والمتنبي» الرسالة ٤ (١٩٣٦م) ٨٠ و انظر السفر الثاني من كتاب «المتنبي» (القاهرة ١٩٧٧م)].

«ترجمة القرآن في صحيح البخاري - ١»، البلاغ عدد ٧ إبريل/ نيسان ١٩٣٦م.

«ترجمة القرآن لها باب مستقل في صحيح البخاري - ٢»،
البلاغ عدد ١٠ إبريل/ نيسان ١٩٣٦ م.

«ترجمة القرآن»، البلاغ عدد ١١ إبريل/ نيسان ١٩٣٦ م.

«ترجمة القرآن في الكتب المنزلة»، البلاغ عدد ١٥ إبريل/
نيسان ١٩٣٦ م.

● «انتظري بغضي» (قصيدة)، الرسالة ٤ (١٩٣٦ م) ٩٠٥ -
٩٠٦.

● «حيرة» (قصيدة)، الرسالة ٤ (١٩٣٦ م) ١٣٥١.

«نبوة المتنبي»، الرسالة ٤ (١٩٣٦) ١٤٩٢ - ١٤٩٥.

«نبوة المتنبي أيضاً»، الرسالة ٤ (١٩٣٦ م) ١٦٦٣ - ١٦٦٦،
١٧٠١ - ١٧٠٥.

[سعيد الأفغاني: «حول نبوة المتنبي»، الرسالة ٤ (١٩٣٦ م)
١٦١٩ - ١٦٢٢.

سعيد الأفغاني: «حول نبوة المتنبي أيضاً»، الرسالة ٤
(١٩٣٦ م) ١٨٠٢ - ١٨٠٣.

عبد المتعال الصعيدي: «الفصل في نبوة المتنبي من شعره»،
الرسالة ٤ (١٩٣٦ م) ١٨٠٤ - ١٨٠٥.

● «عقوق» (قصيدة)، الرسالة ٤ (١٩٣٦ م) ١٨٥٠.

١٩٣٧ م

«وحي القلم» للأستاذ مصطفى صادق الرافعي، المقتطف ٩٠
(١٩٣٧ م) ٢٥١.

● «ألت التي» (قصيدة)، الرسالة ٥ (١٩٣٧ م) ٦٩ - ٧٠.

«بيني وبين طه»، البلاغ ١٣ فبراير/ شباط و ٢٠ فبراير/ شباط و ٢٧ فبراير/ شباط و ٩ مارس/ آذار و ١٣ مارس/ آذار و ٢٠ مارس/ آذار و ٢٧ مارس/ آذار و ٣ إبريل/ نيسان و ١٠ إبريل/ نيسان و ١٧ إبريل/ نيسان و ٤ مايو/ أيار و ١١ مايو/ أيار ١٩٣٧ م.
«الرافعي» (قصيدة مرسله)، الرسالة ٥ (١٩٣٧ م) ٨٢١.

١٩٣٨ م

«بين الرافعي والعقاد» (خمس مقالات)، الرسالة ٦ (١٩٣٨ م) ٧٨١ - ٧٨٣ و ٨٠٨ - ٨١١ و ٨٥١ - ٨٥٤ و ٩٠٢ - ٩٠٣ و ٩٣٣ - ٩٣٥.

[«كلمة على الهامش» لعل الطنطاوي، الرسالة ٦ (١٩٣٨ م) ٩٣٩ - ٩٤٠.

«أهذا نقد؟ أهذا كلام» لعل الطنطاوي، الرسالة ٦ (١٩٣٨ م) ٩٨١ - ٩٨٢.

رد لسيد قطب، الرسالة ٦ (١٩٣٨ م) ٨٣٨ و ٨٥٤ - ٨٥٧. «فاتحة العصور»، العصور عدد ١٦ نوفمبر/ تشرين الآخر ١٩٣٨ م.

«تهيئة الشرق لورثة الحضارات والمدنيات»، العصور عدد ٩ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٣٨ م، ٣٧ - ٣٩.

١٩٣٩ م

«من صاحب العصور إلى صاحب الرسالة»، الرسالة ٧ (١٩٣٩ م) ٦٧.

«ذات النطاقين»، الرسالة ٧ (١٩٣٩م) ٥٣٩ - ٥٤١.

● «رماد» (قصيدة)، الرسالة ٧ (١٩٣٩م) ٢٣٤٨ - ٢٣٤٩.

«مقدمة حياة الرافعي» لمحمد سعيد العريان (القاهرة مطبعة

الرسالة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩م).

١٩٤٠م

❖ «إِمْتَاعُ الْأَسْمَاعِ بِمَا لِلرُّسُولِ مِنَ الْأَبْنَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْحَفَدَةِ وَالْمَتَاعِ» لتقي الدين المقرئ، صحَّحه وشرحه محمود محمد شاكر (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠م).

[نقد للأستاذ محمد عبد الغني حسن، الرسالة ٩ (١٩٤١م)

٧١٦، ورد على نقد، الرسالة ٩ (١٩٤١م) ٧٤٢ - ٧٤٣].

❖ «الْمُكَافَأَةُ وَحُسْنُ الْعُقْبَى» لأحمد بن يوسف بن الداية

الكاتب، حققه وشرحه وصحَّحه محمود محمد شاكر (القاهرة، المكتبة التجارية رمضان ١٣٥٩ هـ = أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٠م).

✓ [وراجع كلام للأستاذ محمود محمد شاكر حول طبعته وطبعة وزارة المعارف للكتاب نفسه بعنوان «عدوان لطيف»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١٨٣٦ - ١٨٣٨].

«علم معاني أسرار الحروف - سر من أسرار العربية»،

المقتطف ٩٦ (١٩٤٠م) ٣٢٠ - ٣٢٥ و ٤٠٧ - ٤١٢ و ٩٧ (١٩٤٠م) ٥٥ - ٦٣.

«باب الأدب في أسبوع» «منهجي في هذا الباب»، الرسالة ٨

(١٩٤٠م) ٢٤ - ٢٦ و ٦٢ - ٦٤ و ١٠١ - ١٠٣ و ١٤٣ - ١٤٥ و

١٨١ - ٢٨٣ و ٢٢٢ - ٢٢٤ و ٢٥٩ - ٢٦٢ و ٣٠٠ - ٣٠٢ و ٣٤٣ - ٣٤٦ و ٥٣٩ - ٥٤٢ و ٥٨٣ - ٥٨٦ و ٦٢٠ - ٦٢٢ و ٦٦١ - ٦٦٤ و ٧٠١ - ٧٠٣ و ٧٤١ - ٧٤٤ و ٧٢٤ - ٧٢٦.

● «أذكرني قلبي» (قصيدة)، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ٢٢٠.

«الحقيقة المؤمنة» (من مذكرات عمر ابن أبي ربيعة)، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ٣٨٣ - ٣٨٦.

● «تحت الليل» (قصيدة)، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ٥٠٢.

«غبرات لا غبارات»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ٥١٣ - ٥١٤.

«الأغنياء»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ٧٧٧ - ٧٧٨.

«إلى أين» (ثلاث مقالات)، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ٩٧٠ - ٩٧٣ و ١٠٠٧ - ١٠٠٩ و ١٠٤٤ - ١٠٤٦.

«ويلك آمن»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١٠٨٤.

«هذه هي الساعة»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١١٢٣ - ١١٢٥.

«أخوك أم الذئب»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١١٦١ - ١١٦٣.

«يوم البعث»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١١٨٨ - ١١٨٩.

«الحضارة المتبرجة»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١٢٥٢ - ١٢٥٤.

«اقتطف» «باريس»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١٢٧١.

«عدوان لطيف»، الرسالة ٨ (١٩٤٠م) ١٨٣٦ - ١٨٣٨.

«الطريق إلى الأدب»، الدستور عدد ٢٣ أبريل/ نيسان ١٩٤٠م و ٣٠ أبريل/ نيسان ١٩٤٠م.

«فوضى الأدب وأدب الفوضى»، الدستور عدد ١١ يونية/ حزيران ١٩٤٠م.

«الأدب والحرب»، الدستور عدد ١٨ يونية/ حزيران ١٩٤٠م.

«إلى علي ماهر باشا»، الدستور عدد ٢٦ يولية/ حزيران ١٩٤٠ م.

«أهوال النفس»، الدستور عدد ٢٧ يولية/ حزيران ١٩٤٠ م.

«لا تبكوا، لا تنوحوا»، الدستور عدد ٥ يولية/ تموز ١٩٤٠ م.

«تجديد التاريخ المصري ساعة واحدة»، الدستور عدد ١٢ يولية/ تموز ١٩٤٠ م.

«أحلام مبعثرة»، الدستور عدد ٢١ يولية/ تموز ١٩٤٠ م.

«وقاحة الأدب، أدباء الطابور الخامس»، الدستور عدد ٣ أغسطس/ آب ١٩٤٠ م.

«قلوب جديدة»، الدستور عدد ١١ أغسطس/ آب ١٩٤٠ م.

«القلم المعطل»، الدستور عدد ١٧ سبتمبر/ أيلول ١٩٤٠ م.

١٩٤١ م

«إمتاع الأسماع»، الرسالة ٩ (١٩٤١ م) ٧٤٢ - ٧٤٣.

١٩٤٢ م

«أيام حزينة» (من مذكرات عمر ابن أبي ربيعة)، الرسالة ١٠ (١٩٤٢ م) ١٩٤ - ١٩٦.

«ذكرى أم كلثوم للشاعر التركي إبراهيم صبري» (ترجمة)، الرسالة ١٠ (١٩٤٢ م) ١٠٢٦ - ١٠٢٧.

«الطريق إلى الحق»، الرسالة ١٠ (١٩٤٢ م) ١١٠٣ - ١١٠٦.

«عبقريّة عمر» للعقاد، المقتطف ١٠١ (١٩٤٢ م) ٥٣٤.

١٩٤٣م

«أدباء»، الرسالة ١١ (١٩٤٣م) ١٩.

● «من تحت الأنقاض» (قصيدة)، الرسالة ١١ (١٩٤٣م) ٤٣٦.

● «الشجرة ناسكة الصحراء» (قصيدة)، المقتطف ١٠٢ (١٩٤٣م) ٢٨.

«شاعر الحب والفلوات، ذو الرُّمَّة» (ثلاث مقالات)، المقتطف ١٠٢ (١٩٤٣م) ١٢٥ و ٢٤٤ - ١٠٣ (١٩٤٣م) ٤١.

١٩٤٤م

✓ «جريدة ميعاد» (من مذكرات عمر ابن أبي ربيعة)، الرسالة ١٢ (١٩٤٤م) ٦٩ - ٧٢.

«الحرف اللاتيني والعربية»، الرسالة ١٢ (١٩٤٤م) ٣٠٨ - ٣١٠.

«صديق إبليس» (من مذكرات عمر ابن أبي ربيعة)، الرسالة ١٢ (١٩٤٤م) ٣٧ - ٤٠ و ٦٠ - ٦٢.

١٩٤٦م

«من وراء حجاب»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ٨ - ١١.

«تهجم على التخطئة»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٩٩ - ٢٠٠.

«وأيضاً تهجم على التخطئة»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ٣٣٣ - ٣٣٦.

- «اللغة والمجتمع» لعلي عبد الواحد وافي، الكتاب ٢ (١٩٤٦م) ٣١٠ - ٣١٤.
- «هزل»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٠٧٥ - ١٠٧٧.
- «بين جيلين»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٠٩٩ - ١١٠١.
- «اسلمي يا مصر...!»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١١٥٧ - ١١٥٩.
- «بعض الذكرى...!»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٢١٣ - ١٢١٥.
- «نافقء اليربوع»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٢٦٩ - ١٢٧٠.
- «ساعة فاصلة...!»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٣٢٣ - ١٣٢٦.
- «احذري أيتها العرب»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٣٧٩ - ١٣٨١.
- «من استرعى الذئب ظلم»، الرسالة ١٤ (١٩٤٦م) ١٤٣٥ - ١٤٣٨.

١٩٤٧م

- «حديث غد» (من مذكرات عمر ابن أبي ربيعة)، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٤ - ١٧.
- «مصر هي السودان»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٠٤ - ١٠٦.
- «لا تدابروا أيها الرجال»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٢١٨ - ٢٢٠.
- ✓ «إنه جهادٌ لا سياسة»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٢٧١ - ٢٧٣.
- «الخيانة العظمى...!»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٣٢٧ - ٣٣٠.
- «الجلأء الأعظم»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٣٨٣ - ٣٨٥.
- «نحن العرب..»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٤٣٩ - ٤٨١.
- «الحكم العدل»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٤٩٦ - ٤٩٨.

- «هي الحرية»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٥٥٢ - ٥٥٤.
- «قضي الأمر..»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٦٠٨ - ٦٠٩.
- «أسد أفريقية»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٦٦٣ - ٦٦٥.
- «شعبٌ واحدٌ، وقضيةٌ واحدة!»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٧٢٢ - ٧٢٤.
- «هذه بلادنا»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٧٧٧ - ٧٧٩.
- «شهر النصر»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٨٣٥ - ٨٣٧.
- «في الماضي»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٨٦٠ - ٨٦٢.
- «عبر لمن يعتبر»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٩١٥ - ٩١٨.
- «اتقوا غضبة الشعب»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ٩٧٢ - ٩٧٤.
- «مؤتمر المستضعفين»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٠٢٨ - ١٠٣٠.
- «أوطان»، الكتاب ٤ (١٩٤٧م) ١٥٦٦ - ١٥٧٨.
- «لا هوادة بعد اليوم»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٠٨٤ - ١٠٨٦.
- «حديث الدولتين»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١١٤٠ - ١١٤١.
- «بلبله»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١١٩٩ - ١٢٠١.
- «لسان السياسة البريطانية»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٢٥٨ - ١٢٦٠.
- «لبيك يا فلسطين!»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٣١٣ - ١٣١٥.
- «ثلاثة رجال»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٣٦٨ - ١٣٧١.

«إياكم والمهادنة»، الرسالة ١٥ (١٩٤٧م) ١٤٢٣ - ١٤٢٦.

١٩٤٨م

«ويحكم هبوا»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ٢١ - ٢٣.

«لا تملأوا»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ٤٥ - ٤٨.

«كلمة أخرى»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ١٠٣ - ١٠٥.

«الفتنة الكبرى - ١»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ١٣٤ - ١٣٨.

«هذا زماننا»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ١٦٠ - ١٦٢.

«الفتنة الكبرى - ٢»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ١٩٣ - ١٩٦.

[تعليق لشوقي ضيف ٢٠١ - ٢٠٣، ورد للأستاذ شاكر
٢١١].

«الحرية!.. الحرية!»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ٢١٤ - ٢١٦.

«الفتنة الكبرى - ٣»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ٢٥٤ - ٢٥٧.

«لمن أكتب؟»، الرسالة ١٦ (١٩٤٨م) ٢٧٤ - ٢٧٦.

١٩٥٠م

✓ «على حد منكب»، الرسالة ١٨ (١٩٥٠م) ١٣٨٥ - ١٣٨٧.

١٩٥١م

«لا تنسوا»، اللواء الجديد عدد ٧ أغسطس/ آب ١٩٥١م.

«عدوي وعدوكم»، اللواء الجديد عدد ٢٤ أغسطس/ آب

١٩٥١م.

«أندية، لا نادٍ واحد»، اللواء الجديد عدد ٢٨ أغسطس/ آب ١٩٥١ م.

«لا تخدعونا»، اللواء الجديد عدد ٤ سبتمبر/ أيلول ١٩٥١ م.
«احذروا عدوكم»، اللواء الجديد عدد ١٨ سبتمبر/ أيلول ١٩٥١ م.

«في خدمة الاستعمار»، اللواء الجديد عدد ٢٥ سبتمبر/ أيلول ١٩٥١ م.

«حكم بلا بيّنة»، المسلمون ١ (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) ٤٣ - ٤٨.

«تاريخ بلا إيمان»، المسلمون (١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م) ١٣٨ - ١٤٥.

١٩٥٢ م

«لا تسبّوا أصحابي»، المسلمون ١ (١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م) ٢٤٦ - ٢٥٥.

● «القوس العذراء»، الكتاب ١١ (١٩٥٢ م) ١٥١ - ١٧٨.
[جمال مرسي بدر، الكتاب ١١ (١٩٥٢ م) ٣٨٠ - ٣٨١،
محمد سعيد المسلم، الكتاب ١٢ (١٩٥٣ م) ٢٩٣ - ٢٩٥، ورد
الأستاذ شاكر عليه، الكتاب ١٢ (١٩٥٣ م) ٥٥٠ - ٥٥١].
«ذو العقل يشقى»، الرسالة ٢٠ (١٩٥٢ م) ٢٤٢.

«ألسنة المفترين»، المسلمون ١ (١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م) ٣٥١ - ٣٥٩.

«أعتذر إليك»، الرسالة ٢٠ (١٩٥٢ م) ٣٠٤ - ٣٠٥.

- «كلمة تقال»، الرسالة ٢٠ (١٩٥٢م) ٣٨٣ - ٣٨٤.
- * «طَبَقَاتُ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ» لمحمد بن سَلَامِ الْجُمَحِيِّ، حَقَّقَهُ
وشرحه محمود محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٢ -
سلسلة ذخائر العرب ٧).
- [نقد للأستاذ السيد أحمد صقر الكتاب ١٢ (١٩٥٣م) ٣٧٩ -
٣٨٧، رد الأستاذ شاكر، الكتاب ١٢ (١٩٥٣م) ٥١٣ - ٥٢٢، تعليق
للدكتور محمد يوسف، الكتاب ١٢ (١٩٥٣م) ٥٢٢ - ٥٢٤].

١٩٥٣م

- «فيم أكتب!»، الرسالة ٢١ (١٩٥٣م) ٩ - ١١.
- «إبصر طريقك»، الرسالة ٢١ (١٩٥٣م) ٨٩ - ٩١.
- «باطل مشرق»، الرسالة ٢١ (١٩٥٣م) ١٦٤ - ١٦٦.
- «غِرارة ملقاة»، الرسالة ٢١ (١٩٥٣م) ٢٨٩ - ٢٩٢.

١٩٥٤

- * «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ - جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ» لأبي
جعفر محمد بن جرير الطبري، الجزءان الأول والثاني، حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ
حواشيه محمود محمد شاكر وراجعته وخرَّجَ أحاديثه أحمد محمد
شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٤م - تراث الإسلام).

١٩٥٥م

- * «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ»، الأجزاء الثالث والرابع والخامس، حَقَّقَهُ
وَعَلَّقَ حواشيه محمود محمد شاكر وراجعته وخرَّجَ أحاديثه أحمد

محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٥ - تراث الإسلام).
 [ناصر الدين الأسد: مجلة معهد المخطوطات العربية ٢
 (مايو/ أيار ١٩٥٦م) ٢٠٧ - ٢١١].

١٩٥٦م

* «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ»، الأجزاء السادس والسابع والثامن، حَقَّقَهُ
 وعَلَّقَ حَوَاشِيَهُ محمود محمد شاكر وراجعهُ وخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ أحمد
 محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٦م - تراث الإسلام).

١٩٥٧م

* «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ»، الجزآن التاسع والعاشر، حَقَّقَهُ وعَلَّقَ
 حَوَاشِيَهُ محمود محمد شاكر وراجعهُ وخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ أحمد محمد
 شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٧م - تراث الإسلام).
 * «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ»، الجزآن الحادي عشر والثاني عشر، حَقَّقَهُ
 وخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ محمود محمد شاكر وراجعَ أَحَادِيثَهُ أحمد محمد
 شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٧م - تراث الإسلام).

١٩٥٨م

* «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» الجزء الثالث عشر، حَقَّقَهُ وخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ
 محمود محمد شاكر وراجعَ أَحَادِيثَهُ أحمد محمد شاكر (القاهرة،
 دار المعارف ١٩٥٨م - تراث الإسلام).
 «الشيخ أحمد محمد شاكر»، المجلة ١٩ (يولية/ تموز
 ١٩٥٨م) ١١٩ - ١١٢.

«فصل في إعجاز القرآن» تقديم كتاب «الظاهرة القرآنية، نظرية جديدة في دراسات القرآن» لمالك بن نبي وترجمة عبد الصبور شاهين (القاهرة، مكتبة دار العروبة ١٩٥٨م - الطبعة الأولى).

«تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ»، الجزء الرابع عشر، حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ محمود محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٥٨م - تراث الإسلام).

١٩٦٠م

* «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ»، الجزء الخامس عشر، حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ محمود محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٦٠م - تراث الإسلام).

١٩٦٢م

* «جَمَهْرَةُ نَسَبِ قُرَيْشٍ وَأَخْبَارُهَا» للزبير بن بكار، شَرَحَهُ وَحَقَّقَهُ محمود محمد شاكر، الجزء الأول (القاهرة، مكتبة دار العروبة ١٣٨١هـ).

١٩٦٤م

● «الْقُوسُ الْعِذْرَاءُ»، القاهرة - مكتبة دار العروبة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م (الطبعة الأولى).

«ليس حسناً»، الرسالة ١٠٨٩ (٢٦ نوفمبر/ تشرين الآخر ١٩٦٤م) ٦ - ١٢.

«بَلْ مَعِيَّاءُ»، الرسالة ١٠٩٠ (٣ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٦٤م) ٥ - ١١.

«بَلْ قَبِيحًا»، الرسالة ١٠٩١ (١٠ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٦٤م)
١١ - ٥.

«بل شنيعًا»، الرسالة ١٠٩٢ (١٧ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٦٤م)
١١ - ٥.

«لَا تَنْقُضِي»، الرسالة ١٠٩٣ (٢٤ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٦٤م)
١٠ - ٤.

«هذه هي القضية»، الرسالة ١٠٩٤ (٣١ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٦٤م)
١٣ - ٦.

١٩٦٥م

«وهذا هو تاريخها»، الرسالة ١٠٩٥ (٧ يناير/ كانون الآخر ١٩٦٥م)
١٠ - ٤.

«وهذه هي آثارها»، الرسالة ١٠٩٦ (١٤ يناير/ كانون الآخر ١٩٦٥م)
١٣ - ٦.

«وهذه هي أخبارها»، الرسالة ١٠٩٧ (٢١ يناير/ كانون الآخر ١٩٦٥م)
١٣ - ٦.

«وهذه هي أخطارها»، الرسالة ١٠٩٨ (٢٨ يناير/ كانون الآخر ١٩٦٥م)
١٤ - ٧.

«وأيضًا»، الرسالة ١٠٩٩ (٤ فبراير/ شباط ١٩٦٥م) ١٣ - ٦.

«وما أدراك ماهية؟»، الرسالة ١١٠٠ (١١ فبراير/ شباط ١٩٦٥م) ٦ - ١٣.

«نارٌ حامية»، الرسالة ١١٠١ (٨ فبراير/ شباط ١٩٦٥م) ١٠ - ٢.

❁ «شرح أشعار الهذليين» صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، ثلاثة أجزاء، حققه عبد الستار أحمد فراج وراجعته محمود محمد شاكر (القاهرة، مكتبة دار العروبة ١٩٦٥م).

«أباطيل وأسمار»، الجزء الأول (القاهرة، مكتبة دار العروبة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م).

١٩٦٨ م

«قرى عربية»، مجلة العرب ٢ (١٣٨٨ هـ) ٧٦٩ - ٧٩٧.

١٩٦٩ م

«نمط صعب ونمط مخيف»، المجلة عدد ١٤٨ (إبريل/ نيسان ١٩٦٩ م) ٤ - ١٣.

و ١٥٠ (يونية/ حزيران ١٩٦٩ م) ٤ - ٢٠ و ١٥٣ (سبتمبر/ أيلول ١٩٦٩ م).

و ١٥٤ (أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٦٩ م) و ١٥٥ (نوفمبر/ تشرين الآخر ١٩٦٩ م).

* «تفسير الطبري»، الجزء السادس عشر، حققه وخرّج أحاديثه محمود محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٦٩ - تراث الإسلام).

١٩٧٠ م

* «كتاب الوحشيات - وهو الحماسة الصغرى» لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، علّق عليه وحقّقه عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف ١٩٧٠ م - ذخائر العرب ٣٣، الطبعة الثانية).

«نمط صعب ونمط مخيف»، المجلة ١٥٩ (مارس/ آذار ١٩٧٠م) ٤ - ١٥ و ١٦١ (مايو/ أيار ١٩٧٠م) ٤ - ٢٣.

١٩٧٢م

❖ «أباطيل وأسمار»، الجزءان الأول والثاني (القاهرة، مطبعة المدني ١٩٧٢م).

● «القوس العذراء»، الطبعة الثانية (القاهرة، مكتبة الخانجي ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م).

«تصدير كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم» للشيخ محمد عبد الخالق عزيمة، الجزء الأول (القاهرة، مطبعة السعادة ١٩٧٢م) صفحة ج - ز.

١٩٧٤م

❖ «طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلام الجُمَحِيّ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر (القاهرة ١٩٧٤ م).

[علي جواد الطاهر: «طبقات الشعراء.... مخطوطاً ومطبوعاً»، مجلة المورد ٨ (١٩٧٩م) ورد الأستاذ عليه بكتاب «برنامج طبقات فحول الشعراء» ١٩٨٠ م].

«في الطريق إلى حضارتنا»، الثقافة ١٠ (يولية/ تموز ١٩٧٤م) ٤

- ١٠.

١٩٧٥م

«كانت الجامعة هي طه حسين»، الكاتب ١٦٨ (مارس/ آذار ١٩٧٥م) ٢٨ - ٣٥.

«مواقف»، الكاتب ١٧٠ (مايو/ أيار ١٩٧٥م) ٢٢ - ٣٦.

** «قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام» نشر في مجلة العرب، عام ١٩٧٥م. وهو نص محاضرة ألقى في جامعة محمد بن سعود الإسلامية في العام نفسه.

منشور في وأعيد طبعه عام ١٩٩٧م في مطبعة المدني بالقاهرة.

صينغ مجلة العرب للبحر

١٩٧٦م

«مع الشيطان الأخرس»، الأهرام عدد ١٢ مارس/ آذار ١٩٧٦م.

١٩٧٧م

** «المتنبّي»، السفران الأول والثاني (الطبعة الثانية)، القاهرة ١٩٧٧م.

[عبد العزيز الدسوقي: «المتنبّي بين محمود شاكر وطه حسين»، الثقافة ٥٢ (يناير/ كانون الآخر ١٩٧٨م) ٦٥ - ٧١ و ٥٣ (فبراير/ شباط ١٩٧٨م) ٥٥ - ٦١، «قضية التذوق الفني بين شاكر وطه حسين»، الثقافة ٥٤ (مارس/ آذار ١٩٧٨م) ٥٠ - ٥٤، «المتنبّي بين محمود شاكر وطه حسين» الثقافة ٥٧ (يونيو/ حزيران ١٩٧٨م) ٢٨ - ٣٠ ورد الأستاذ محمود شاكر: «المتنبّي ليتني ما عرفته»، الثقافة ٦٠ (سبتمبر/ أيلول ١٩٧٨م) ٤ - ١٩ و ٦١ (أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٨م) ٤ - ١٨ و ٦٣ (ديسمبر/ كانون الأول ١٩٧٨م) ٤ - ١٧].

١٩٧٨م

«المتنبي ليتني ما عرفته»، الثقافة ٦٠ (سبتمبر/أيلول ١٩٧٨م) ٤ - ١٩ و ٦١ (أكتوبر/تشرين الأول ١٩٧٨م) ٤ - ١٨ و ٦٣ (ديسمبر/كانون الأول ١٩٧٨م) ٤ - ١٧.

١٩٨٠م

«برنامج طبقات فحول الشعراء»، القاهرة - مطبعة المدني ١٩٨٠م.

١٩٨٢م

«المستشرقون وقضية الشعر»، الأهرام عدد ٣٠ أبريل/نيسان ١٩٨٢م.

«اللغة ليست علماً، جزء صغير... من الحقيقة المفزعة»، الهلال (مايو/أيار ١٩٨٢م) ٢٤ - ٣١.
«الفقيه الجليل ورموز التكنولوجيا»، الهلال (يونية/حزيران ١٩٨٢م) ٥٠ - ٥٥.

«فساد حياتنا الأدبية بين السخف والخطأ والتضليل»، العربي (يولية/تموز ١٩٨٢م) ١٨ - ٢٤.

* «تَهْذِيبُ الْآثَارِ وَتَفْصِيلُ الثَّابِتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَخْبَارِ» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، قرأه وخرَّج أحاديثه أبو فُهِرٍ محمود محمد شاكر. مسند علي بن أبي طالب (٤)، مسند عبد الله بن عباس (٥) السفر الأول - (منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م).

١٩٨٣

* «تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، قرأه وخرّج أحاديثه «٦ مجلدات» (منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ - ١٩٨٣ م).

١٩٨٤

* «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه (مكتبة الخانجي ١٩٨٤ م) الطبعة الأولى.

١٩٨٦م

«من التحقيقات اللغوية»، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٥٩ (ربيع الأول ١٤٠٧ هـ = نوفمبر/تشرين الآخر ١٩٨٦ م) ٢٤ - ٢٦.

«رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» صدرت لأول مرة كمقدمة لكتابه «المتنبي» نشره الخانجي ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م، الصفحات [٣ - ١٥٠].

ثم نشرت بعد ذلك عدة نشرات منفصلة.
نشرتها مجلة الهلال في سلسلة «كتاب الهلال» الشهري مرتين:

الأولى: ١٩٨٧ م.

الثانية: سبتمبر ١٩٩١ م.

وأخيراً نشرتها مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٣ م.

١٩٩١ م

* «أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه (مطبعة المدني، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م).

● وكان بين يدي الشيخ عدة مؤلفات لم يتمها، منها:

- مداخل إعجاز القرآن.

- كتاب الشعر.

● كما إنه توجد للشيخ أشعار مخطوطة لم تُشر في دورية أو كتاب، من تلك الأشعار قصيدة «لا تَعُودي» وهي طويلة جداً، وقصيدة «اعصفي يا رياح»، وقصيدة بعنوان «وَعْد» وغيرها.

الرافعي

للأستاذ محمود محمد شاكر

رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ! رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ!

رَحْمَةُ اللَّهِ لِقَلْبٍ حَزِينٍ، وَكَبِدٍ مَصْدُوعَةٍ!.

* * *

لَمْ أَفْقِدْكَ أَيُّهَا الْحَبِيبُ، وَلَكِنِّي فَقَدْتُ قَلْبِي.

كُنْتُ لِي أَمَلًا أَسْتَمْسِكُ بِهِ كُلَّمَا تَقَطَّعَتْ آمَالِي فِي الْحَيَاةِ.

كُنْتُ رَاحَةً قَلْبِي كُلَّمَا أَضْطَرَبَ الْقَلْبُ فِي الْعَنَاءِ.

كُنْتُ الْيَبُوعَ الرَّوِّيَّ كُلَّمَا ظَمِيَ الْقَلْبُ وَأَحْرَقَهُ الصَّدَى.

كُنْتُ فَجْرًا يَتَبَلَّجُ نُورُهُ فِي قَلْبِي وَتَتَنَفَّسُ نَسَمَاتِهِ، فَوَجَدْتُ

قَلْبِي.. إِذْ وَجَدْتُ عِلَاقَتِي بِكَ.

(*) نشرت هذه الكلمة في «الرسالة» العدد: ٢٠٢، ٧ شهر ربيع الأول

سنة ١٣٥٦هـ = ١٧ مايو/أيار سنة ١٩٣٧م، السنة الخامسة،

الصفحة: ٨٢١.

لَمْ أَفْقِدْكَ أَيُّهَا الْحَبِيبُ، وَلَكِنِّي فَقَدْتُ قَلْبِي.

* * *

جَزَعِي عَلَيْكَ يُمَسِّكُ لِسَانِي أَنْ يَقُولَ، وَيُرْسِلُ دَمْعِي
لِيَتَكَلَّمَ. وَالْأَحْزَانُ تَجِدُ الدَّمْعَ الَّذِي تَذُوبُ فِيهِ لِتَهْوَنَ وَتَضَّاءَلَ،
وَلَكِنَّ أَحْزَانِي عَلَيْكَ تَجِدُ الدَّمْعَ تَرَوِي مِنْهُ لِتَنُمُو وَتَتَشَبَّرَ.

لَيْسَ فِي قَلْبِي مَكَانٌ لَمْ يَرَفَّ عَلَيْهِ حُبِّي لَكَ وَهَوَايَ
فِيكَ، فَلَيْسَ فِي الْقَلْبِ مَكَانٌ لَمْ يَحْرِفْهُ حُزْنِي فِيكَ وَجَزَعِي
عَلَيْكَ.

هَذِهِ دُمُوعِي تُتَرْجِمُ عَنْ أَحْزَانِ قَلْبِي،
وَلَكِنَّهَا دُمُوعٌ لَا تُحْسِنُ تَتَكَلَّمُ.

* * *

عِشْتُ بِنَفْسٍ مُجْدِبَةٍ قَدْ أَنْصَرَفَ عَنْهَا الْخُضْبُ، ثُمَّ رَحِمَ
اللَّهُ نَفْسِي بِزَهْرَتَيْنِ تَرِفَّانِ نَضْرَةً وَرِوَاءَ.

كُنْتُ أَجْدُ فِي أَنْفَاسِهِمَا ثَرَوَةَ الرُّوَضَةِ الْمُمْرِعَةِ فَلَا أُحْسُ
فَقْرَ الْجَدْبِ!.

أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَقَدْ قَطَّقَتْهَا حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ،
وَأَمَّا الْأُخْرَى فَانْتَزَعَتْهَا حَقِيقَةُ الْمَوْتِ،
وَبَقِيَتْ نَفْسِي مُجْدِبَةً تَسْتَشْعِرُ ذِلَّ الْفَقْرِ.

* * *

تَحْتَ الثَّرَى.. عَلَيْكَ رَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ،
 وَفَوْقَ الثَّرَى... عَلَيَّ أَحْزَانُ قَلْبِي الَّتِي ضَاقَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ؛
 تَحْتَ الثَّرَى تَتَجَدَّدُ عَلَيْكَ أَفْرَاحُ الْجَنَّةِ؛
 وَفَوْقَ الثَّرَى تَتَقَادِمُ عَلَيَّ أَحْزَانُ الْأَرْضِ!
 تَحْتَ الثَّرَى تَتَرَاءَى لِرُوحِكَ كُلُّ حَقَائِقِ الْخُلُودِ.
 وَفَوْقَ الثَّرَى تَتَحَقَّقُ فِي قَلْبِي كُلُّ مَعَانِي الْمَوْتِ.
 لَمْ أَفْقِدْكَ أَيُّهَا الْحَبِيبَ وَلَكِنِّي فَقَدْتُ قَلْبِي.

* * *

حَضَرَ أَجْلُكَ، فَحَضَرْتَنِي هُمُومِي وَآلَمِي.
 فَبَيْنَ ضُلُوعِي مَا تَمَّ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ أَحْزَانِي لِلْبُكَاءِ؛
 وَفِي رُوحِي جَنَازَةٌ قَدْ تَهَيَّأتْ لِتَسِيرِ؛
 وَعَوَاطِفِي تُسَيِّعُ الْمَيِّتَ الْحَبِيبَ مُطَرِّقَةً صَامِتَةً؛
 وَالْجَنَازَةُ كُلُّهَا فِي دَمِي - فِي طَرِيقِهَا إِلَى الْقَبْرِ.
 وَفِي الْقَلْبِ... فِي الْقَلْبِ تُحْفَرُ الْقُبُورُ الْعَزِيزَةُ الَّتِي لَا
 تُنْسَى.

* * *

فِي الْقَلْبِ يَجِدُ الْحَبِيبُ رُوحَ الْحَيَاةِ وَقَدْ فَرَّغَ مِنَ الْحَيَاةِ.
 وَتَجِدُ الرُّوحَ أَحْبَابَهَا وَقَدْ نَأَى جُثْمَانُهَا.

فِي قَلْبِي تَجِدُ الْمَلَائِكَةَ مَكَانًا طَهَّرَتْهُ الْأَحْزَانُ مِنْ رِجْسِ
اللَّذَاتِ.

وَتَجِدُ أُجْنِحَتَهَا الرُّوحَ الَّذِي تُهَفِّفُ عَلَيْهِ وَتَحَقِّقُ بِهِ.
هنا... فِي الْقَلْبِ، تَنْزَلُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحِبَّابِي وَأَحْزَانِي.
فَقِي الْقَلْبِ تَعِيشُ الْأَرْوَاحُ الْحَبِيبَةُ الْخَالِدَةُ الَّتِي لَا تَفْنَى.
وَفِي الْقَلْبِ تُحْفَرُ الْقُبُورُ الْعَزِيزَةُ الَّتِي لَا تُنْسَى.

* * *

لَمْ تُبَقِ لِي بَعْدَكَ أَيُّهَا الْحَبِيبُ إِلَّا الشَّوْقُ إِلَى لِقَائِكَ.
فَقَدْتُكَ وَحْدِي إِذْ فَقَدْتُكَ النَّاسَ جَمِيعًا.
سَمَّا بِكَ فَرَحُكَ بِاللَّهِ، وَقَعَدْتُ بِي أَحْزَانِي عَلَيْكَ.
لَقَدْ وَجَدْتُ الْأُنْسَ فِي جَوَارِ رَبِّكَ، فَوَجَدْتُ الْوَحْشَةَ فِي
جَوَارِ النَّاسِ.

لَمْ أَفْقِدْكَ أَيُّهَا الْحَبِيبُ، وَلَكِنِّي فَقَدْتُ قَلْبِي.
لَمْ تُبَقِ لِي بَعْدَكَ إِلَّا الشَّوْقُ إِلَى لِقَائِكَ.
رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ!.

محمود محمد شاكر

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَيَّاهُ أَسْتَعِينُ

فاتحة الكتاب^(١)

محمود محمد شاكر

إِنْ كُنْتُ لَسْتُ مَعِيَ، فَالذِّكْرُ مِنْكَ مَعِيَ

يَرَاكَ قَلْبِي وَإِنْ غُيِّبَتْ عَنْ بَصَرِي

الْعَيْنُ تُبْصِرُ مَنْ تَهْوَى وَتَفْقِدُهُ

وَنَاطِرُ الْقَلْبِ لَا يَخْلُو مِنَ النَّظَرِ

رَحِمَكَ اللَّهُ «أَبَا السَّامِي»^(٢) وَرَضِيَ عَنْكَ، وَغَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ

مِنْ ذَنْبِكَ، وَجَزَاكَ خَيْرًا عَنْ جِهَادِكَ ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى

نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ أَيْلَومَ جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ [سورة الحديد: الآية: ١٢].

(١) هذه هي فاتحة كتاب «حياة الرافعي» لمحمد سعيد العريان رحمه الله.

(٢) كذلك كانت كُنْيَتُهُ. واسمُ أبنه البكر: محمود سامي الرافعي، وإنَّما

سمَّاهُ كذلك تشبيهاً له باسم الشاعر محمود سامي البارودي، وإليه

كان ينظر في صدرِ أيامِهِ.

كَتَبَ «سَعِيدٌ» - لَا أَخْلَى اللَّهَ مَكَانَهُ وَخُطِيءَ عَنْهُ السُّوءُ -
 هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، يَرُدُّ بِهِ إِلَى الْحَيَاةِ حَيَاةً
 أَسْتَدْبَرَتْ الدُّنْيَا وَأَقْبَلَتْ عَلَى الْآخِرَةِ بِمَا قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ؛ وَثَمَّ
 الْمِيزَانَ الَّذِي لَا يُخْطِئُ، وَالنَّاقِذَ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الزَّيْفُ،
 وَالْحَاكِمَ الَّذِي لَا يَقْدَحُ فِي عَدْلِهِ ظُلْمٌ وَلَا جَوْرٌ، وَالْبَصِيرَ الَّذِي
يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، قَدْ أَسْتَوَتْ عِنْدَهُ دُجْنَةُ
 السَّرِّ وَنَهَارُ الْعَلَانِيَةِ. وَقَدْ فَرَعَ الرَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مِنْ أَمْرِ
 النَّاسِ إِلَى خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يَفْرغُونَ مِنْ أَمْرِ
 مَوْتَاهُمْ، وَلَوْ فَرَّغُوا لَكَانَ التَّارِيخُ أَكْفَنًا تَطَوَّى عَلَى الرَّمَمِ، لَا
 أَثَوَابًا تُلْقَى عَلَى الْمَيِّتِ لِتَنْشُرَهُ مَرَّةً أُخْرَى حَدِيثًا يُؤَثَّرُ وَخَبْرًا
 يُرَوَّى وَعَمَلًا يُتِمَثَّلُ، وَكَأَنَّ قَدْ كَانَ بَعْدُ إِذْ لَمْ يَكُنْ.

وَهَذَا كِتَابٌ يُقَدِّمُهُ «سَعِيدٌ» إِلَى الْعَرَبِيَّةِ وَقَرَائِهَا، يَجْعَلُهُ
 كَالْمُقَدِّمَةِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ أَمْرَ الرَّافِعِيِّ مِنْ
 قَرِيبٍ.

لَقَدْ عَاشَ الرَّافِعِيُّ ذَهْرًا يَتَصَرَّفُ فِيهَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ النَّاسُ
 عَلَى عَادَاتِهِمْ، وَتُصَرِّفُهُ أَعْمَالُ الْحَيَاةِ عَلَى نَهْجِهَا الَّذِي أَقْتَسَرَتْهُ
 عَلَيْهِ أَوْ مَهَّدَتْهُ لَهُ أَوْ وَطَّأَتْ بِهِ لِتَكْوِينِ الْمِزَاجِ الْأَدَبِيِّ الَّذِي لَا
 يَعْدُمُهُ حَيٌّ وَلَا يَخْلُو مِنْ مَسِّهِ بَشَرٌ.

وَأَنَا - مِمَّا عَرَفْتُ الرَّافِعِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَدَنَوْتُ إِلَيْهِ وَوَصَلْتُ

سَبَبًا مِنِّي بِأَسْبَابٍ مِنْهُ - أَشْهَدُ لِهَذَا الْكِتَابِ بِأَنَّهُ قَدْ اسْتَقْصَى مِنْ
 أَخْبَارِ الرَّافِعِيِّ كَثِيرًا إِلَى قَلِيلٍ مِمَّا عُرِفَ عَنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ فَرَطَ
 مِنْ شُيُوخِنَا وَكُتَّابِنَا وَأُدْبَائِنَا وَشُعْرَائِنَا؛ وَتِلْكَ يَدُ لِسَعِيدٍ عَلَى
 الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ، وَهِيَ أُخْرَى عَلَى التَّارِيخِ؛ وَلَوْ قَدْ يَسَّرَ اللَّهُ لِكُلِّ
 شَاعِرٍ أَوْ كَاتِبٍ أَوْ عَالِمٍ صَدِيقًا وَفِيًّا يَنْقُلُهُ إِلَى النَّاسِ أَحَادِيثَ
 وَأَخْبَارًا وَأَعْمَالًا كَمَا يَسَّرَ اللَّهُ لِلرَّافِعِيِّ، لَمَا أَصْلَتِ الْعَرَبِيَّةُ مَجْدَ
 أَدْبَائِهَا وَعُلَمَائِهَا، وَلَمَا تَفَلَّتْ مِنْ أَدْبِهَا عِلْمُ أَسْرَارِ الْأَسَالِيبِ
 وَعِلْمُ وُجُوهِ الْمَعَانِي الَّتِي تَعْتَلِجُ فِي النُّفُوسِ وَتَرْتَكِضُ فِي
 الْقُلُوبِ حَتَّى يُؤْذَنَ لَهَا أَنْ تَكُونَ أَدْبًا يُصْطَفَى وَعِلْمًا يُتَوَارَثُ
 وَفَنَّا يَتَبَلَّجُ عَلَى سَوَادِ الْحَيَاةِ فَتُسْفِرُ عَنْ مَكُونِهَا مُتَكَشِّفَةً بَارِزَةً
 تَتَأَنَّقُ لِلنَّفْسِ حَتَّى تَسْتَوِي بِمَعَانِيهَا وَأَسْرَارِهَا عَلَى أَسْبَابِ الْفَرَجِ
 وَدَوَاعِي السُّرُورِ وَمَا قَبْلُ وَمَا بَعْدُ.

وَالتَّارِيخُ صَرْبَانِ يَتَرَادَفَانِ عَلَى مَعْنَاهُ، وَلِكُلِّ فَضْلٍ: فَأَوَّلُهُ
 رِوَايَةُ الْخَبَرِ وَالْقِصَّةِ وَالْعَمَلِ، وَمَا كَانَ كَيْفَ كَانَ وَإِلَى أَيْنَ
 أَنْتَهَى؛ وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَنْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ عِلْمِ التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ فِي
 جُمْلَتِهِ؛ وَعَمُودُ هَذَا الْبَابِ صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَطُولُ التَّحَرِّيِ
 وَالِاسْتِقْصَاءِ وَالتَّتَبُّعِ، وَتَسْقُطُ الْأَخْبَارُ مِنْ مَوَاقِعِهَا، وَتَوَحِّي
 الْحَقِيقَةِ فِي الطَّلَبِ حَتَّى لَا يَخْتَلِطُ بَاطِلٌ بِحَقٍّ. وَأَمَّا التَّارِيخُ
 الثَّانِي فَيُجَادُ حَيَاةً قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْحَيَاةِ، وَرَدُّ مَيِّتٍ مِنْ قَبْرِ

مُغْلَقٍ إِلَى كِتَابٍ مَفْتُوحٍ، وَضُمُّ مُتَفَرِّقٍ يَتَّبَعُهُ فِي الْأُلْسِنَةِ حَتَّى يَتِمَّ تَمَثُّلُ صُورَةٍ تَلُوحُ لِلْمُتَأَمِّلِ، وَهَذَا الثَّانِي هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ فِي الْإِدْرَاكِ الْبَيَانِيِّ لِحَقَائِقِ الشُّعْرَاءِ وَالْكَتَّابِ وَمَنْ إِلَيْهِمْ؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ لَا يَكَادُ يَكُونُ شَيْئاً إِلَّا بِالْأَوَّلِ، وَإِلَّا بَقِيَ أَجْتِهَاداً مَحْضاً تَمَوُّتُ الْحَقَائِقُ فِيهِ أَوْ تَحْيَا عَلَى قَدْرِ حَظِّ الْمُؤَرِّخِ وَالتَّاقِدِ مِنْ حُسْنِ النَّظَرِ وَنَفَازِ الْبَصِيرَةِ، وَمَسَاعِيهِ فِي أَسْرَارِ الْبَيَانِ مُتَوَجِّهَةً مَعَ الدَّلَالَةِ مُقْبِلَةً مُدْبِرَةً، مُتَوَقِّياً عَشْرَةَ تَكْبُهُ عَلَى وَجْهِهِ، مُتَابِعَةً مَدْرَجَةَ الطَّبَائِعِ الْإِنْسَانِيَّةِ - عَلَى تَبَايُنِهَا وَأَخْتِلَافِهَا - حَتَّى يُشْرِفَ عَلَى حَيْثُ يَمْلِكُ الْبَصَرُ وَالتَّمْيِيزُ وَرُؤْيَاةُ الْخَافِي وَتَوَهُّمُ الْبَعِيدِ، وَيَكُونُ عَمَلُ الْمُؤَرِّخِ يَوْمَئِذٍ نَكْسَةً يَعُودُ بِهَا إِلَى تَوَهُّمِ أَخْبَارِ كَانَتْ وَأَحْدَاثٍ يَخَالُهَا وَقَعَتْ، وَيَجْهَدُ فِي ذَلِكَ جُهْداً لَقَدْ غَنِيَ عَنْهُ لَوْ قَدْ تَسَاوَقَتْ إِلَيْهِ أَخْبَارُ حَيَاةِ الشَّاعِرِ أَوْ الْكَاتِبِ وَاجْتَمَعَتْ لَدَيْهِ وَأُلْقِيَتْ إِلَيْهِ كَمَا كَانَتْ أَوْ كَمَا شَاهَدَهَا مَنْ صَحِبَهُ وَاتَّصَلَ بِهِ وَنَقَدَ إِلَى بَعْضٍ مَا يَنْقُذُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ حَالِ أَحْيَاهِ الْإِنْسَانَ.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا نَعْرِفُهُ مِنْ أَدَبٍ وَشِعْرِ فِي عُصُورِ الْإِنْدِحَارِ الَّتِي مُنِيَتْ بِهَا الْعَرَبِيَّةُ يَكَادُ يَكُونُ تَلْفِيحاً ظَاهِراً عَلَى الْبَيَانِ وَالتَّارِيخِ مَعاً، حَتَّى لِيُضِلَّ التَّاقِدُ ضَلَالِ السَّالِكِ فِي نَفَقِ مُمْتَدٍّ قَدْ ذَهَبَ شِعَاباً مُتَعَانِقَةً مُتَنَافِرَةً فِي جَوْفِ الْأَرْضِ؛ ثُمَّ جَاءَ

العَصْرُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ فَأَبْطَلَتْ عَامِيَّتُهُ الْبَيَانَ فِي الْأَدَبِ وَالشُّعْرِ
 مِنْ نَاحِيَةٍ، وَدَلَّسَهُمَا مَا أُغْرِيَ بِهِ الْكَثْرَةُ مِنْ أَسْتِعَارَةِ الْعَاطِفَةِ
 وَاقْتِرَاضِ الْإِحْسَاسِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى؛ فَإِنِّي لَأَقْرَأُ لِلْكَاتِبِ أَوْ
 الشَّاعِرِ وَأَتَدَبَّرُ وَأَتَرَفَّقُ وَأَتَرَفَّقِي.. وَإِذَا هُوَ عَيْبُهُ مُمْتَلِئَةٌ قَدْ
 أُشْرِجَتْ عَلَى الْمَعَانِي وَالْعَوَاطِفِ، فَلَوْ قُطِعَ الْخِطُّ الَّذِي يَشُدُّهَا
 لَانْقَطَعَتْ كُلُّ شَارِدَةٍ نَافِرَةٍ إِلَى وَطَنِهَا هَارِبَةً تَشْتَدُّ؛ وَبِمِثْلِ هَذَا
 يَخْوُضُ الْمُؤَرِّخُ فِي رَدْعَةٍ مُسْتَوْحَلَةٍ يَتَزَلَّقُ فِيهَا هَهُنَا وَثَمَّ،
 وَيَتَقَطَّعُ فِي الرَّأْيِ وَتَهَالِكُ الْحَقَائِقُ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَصِيرَ الشَّاعِرُ
 وَشِعْرُهُ وَالْأَدِيبُ وَأَدَبُهُ أَسْمَالًا مُتَحَرِّقَةً بِالْيَةِ يَمْسَحُ بِهَا الْمُؤَرِّخُ
 عَنْ نَفْسِهِ آثَارَ مَا وَجَلَ فِيهِ!.

وَقَدْ أَبْتُلِيَ الْأَدَبُ الْعَرَبِيُّ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِهِؤَلَاءِ الَّذِينَ
 أَوْجَفَتْ بِهِمْ مَطَايَا الْغُرُورِ فِي طَلَبِ الشُّهُرَةِ وَالصِّيتِ وَالسَّمَاعِ،
 فَخَبَطُوا وَتَوَرَّطُوا ظُلُمَاءَ سَالِكُهَا مَغْتَرًّا، وَقَدْ كَانَ احْتِبَاسُهُمْ
 وَإِمْسَاكُهُمْ عَمَّا نَصَبُوا وُجُوهُهُمْ لَهُ، وَاضْطِبَارُهُمْ عَلَى ذَلِّ
 الطَّلَبِ، وَمُمَارَسَتُهُمْ مَعْضِلَ مَا أَرَادُوهُ، وَتَأَنِّيهِمْ فِي النَّيَةِ وَالْبَصْرِ
 وَالْعَزْمِ عَسَى أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى اسْتِثَارَةِ مَا رَكِبَهُ الْإِهْمَالُ مِنَ
 الْعَوَاطِفِ الَّتِي تَعْمَلُ وَحْدَهَا إِذَا تَسَمَّتْ رُوحَ الْحَيَاةِ، وَاسْتِثْبَاطِ
 التَّبَعِ الْقَدِيمِ الَّذِي وَرِثَتْهُ الْإِنْسَانِيَّةُ مِنْ حَيَاتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ الْأُولَى ثُمَّ
 طَمَتْ عَلَيْهِ أَدْرَانُ الْمَدَنِيَّاتِ الْمُتَعَاقِبَةِ.

وَالشُّعْرُ وَالْأَدَبُ كِلَاهُمَا عَاطِفَةٌ وَإِحْسَاسٌ يَنْبَعَانِ مِنْ أَصْلِ
 الْقَلْبِ الْإِنْسَانِيِّ؛ هَذَا الْقَلْبُ الَّذِي أُثْبِتَ مِنْ دَاخِلِ بَيْنِ الْحَنَائِ
 وَالضَّلُوعِ لِيَكُونَ أَصْفَى شَيْءٍ وَأَطْهَرَ شَيْءٍ وَأَخْفَى شَيْءٍ،
 وَلِيَمَسَّ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ قَرِيبٍ لِيُصَفِّيهِ وَيُطَهِّرَهُ وَيُسَدِّلَ عَلَيْهِ مِنْ
 رُوحِهِ شَفَا رَقِيقًا لَا يَسْتَرِ بَلْ يَصِفَ مَا وَرَاءَهُ صِفَةً بَاقِيَةً بَقَاءَ
 الرُّوحِ، وَيُبْرِئَهَا مِنْ دَنْسِ الْوَحْشِيَّةِ الَّتِي تَطْوِيهَا فِي كَفَنِ مِنْ
 بَضَائِعِ الْمَوْتَى؛ فَأَيُّمَا شَاعِرٍ أَوْ أَدِيبٍ قَالَ فَإِنَّمَا بِقَلْبِهِ وَجَبَ أَنْ
 يَقُولَ وَمِنْ دَاخِلِهِ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَإِنَّمَا اللِّسَانُ آلَةٌ تَنْقُلُ مَا
 فِي دَاخِلٍ إِلَى خَارِجٍ حَسْبٍ؛ فَإِنْ كَلَفَهَا أَحَدٌ أَنْ تَنْقُلَ عَلَى غَيْرِ
 طَبِيعَتِهَا فِي الْأَدَاءِ - وَهِيَ الصَّلَةُ الَّتِي انْعَقَدَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقَلْبِ
 عَلَى هَذَا الْقَانُونِ - فَقَدْ أَوْقَعَ الْخَلَلَ فِيهَا وَوَقَعَ الْفَسَادُ
 وَالتَّخَالُفُ وَالْإِحَالَةُ وَالْبَطْلَانُ فِيمَا تُؤَدِّيهِ أَوْ تُثْقَلُهُ.

وَقَدْ نَشَأَ الرَّافِعِيُّ مِنْ أَوْلِيَّتِهِ أَدِيبًا يَرِيدُ أَنْ يُشْعِرَ وَيَكْتُبَ
 وَيَتَأَدَّبَ، وَسَلَخَ شَبَابَهُ يَعْمَلُ حَتَّى أَمَكَّنَتْهُ اللُّغَةُ مِنْ قِيَادِهَا
 وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ بِأَسْرَارِهَا، فَكَانَ عَالِمًا فِي الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ الشُّعْرَ، وَلَوْ
 وَقَفَ الرَّافِعِيُّ عِنْدَ ذَلِكَ لَدَرَجَ فَيَمُنْ دَرَجَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ
 وَالْعُلَمَاءِ الَّذِينَ عَاصَرُوهُ، وَلَوْ أَنَّهُ اسْتَنَامَ إِلَى بَعْضِ الصِّيتِ الَّذِي
 أَدْرَكَهُ وَحَازَهُ وَاحْتَمَلَهُ فِي أَمْرِهِ الْغُرُورَ لَخَفَّ مِنْ بَعْدُ فِي مِيزَانِ
 الْأَدَبِ حَتَّى يَرْجَحَ بِهِ مِنْ بَعْدُ مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ أَخَفَّ مِنْهُ؛

ولكن الرافعي خَرَجَ من هذه الفِتَنِ - التي لَفَتْ كثرة الشعراء والأدباء والتَقَمَّتْهُمْ فَمَضَعَتْهُمْ فَطَحَنَتْهُمْ ثم لَفَظَتْهُمْ - وقد وَجَدَ نَفْسَهُ وَاهْتَدَى إِلَيْهَا، وَعَرَفَ حَقِيقَةَ أَدَبِهِ وما يَنْبَغِي له وما يَجِبُ عليه، فَأَمَرَ ما أَفَادَ من عِلْمٍ وأدبٍ على قَلْبِهِ لِيُؤَدِّيَ عَنْهُ، وَبِرَىءٍ أَنْ يَكُونَ كِبْعُضُ مشاهير الكُتَّابِ والشُعراءِ مِمَّنْ يُطِيحُ بالقَوْلِ من أَعْلَى رَأْسِهِ إلى أَسْفَلِ القِرْطَاسِ وللقارىءِ من قَنابِلِهِ بعد ذلك ما يَتَشَطَّى في وَجْهِهِ وما يَتَطَايَرُ؛ لهذا كَانَ الرافعيُّ من الكُتَّابِ والأدبَاءِ والشُعراءِ الَّذِينَ تُتَّخَذُ حَيَاتُهُمْ مِيزَانًا لأَعْمَالِهِمْ وآثَارِهِمْ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ كِتَابُ «سعيد» عن حَيَاتِهِ من الجَلَالَةِ بالمَوْضِعِ الَّذِي يَسْمُو إِلَيْهِ كُلُّ مُبْصِرٍ، ومن الضَّرُورَةِ بالمَكَانِ الَّذِي يَلْجَأُ إِلَيْهِ كُلُّ طَالِبٍ.

عَرَفْتُ الرافعيَّ مَعْرِفَةَ الرَّأْيِ أَوَّلَ ما عَرَفْتُهُ، ثم عَرَفْتُهُ مَعْرِفَةَ الصُّحْبَةِ فيما بَعْدُ، وَعَرَضْتُ هَذَا على ذَاكَ فيما بَيْنِي وبين نَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا خَيْرًا مما كُنْتُ أَرَى، وَتَبَدَّتْ لي إِنْسَانِيَّةُ هَذَا الرَّجُلِ كَأَنَّهَا نِعْمَةٌ تُجَاوِبُ أُخْتَهَا في ذلك الأديبِ الكَاتِبِ الشَّاعِرِ، وَظَفَرْتُ بِحَبِيبٍ يُحِبُّنِي وَأُحِبُّهُ، لِأَنَّ القَلْبَ هو الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَكَانَ في أَدَبِهِ مَسُّ هَذَا القَلْبِ؛ فَمِنْ هُنَا كُنْتُ أَتَلَقَّى كَلَامَهُ فَأَفْهَمُ عَنْهُ ما يَكَادُ يَخْفَى على مَنْ هُوَ أَمْثَلُ مِنِّي بالأدبِ وَأَقْوَمُ على العِلْمِ وَأَبْصَرُ بمَوَاضِعِ الرَّأْيِ.

وامتياز الرَّافِعِيِّ بِقَلْبِهِ هُوَ سِرُّ الْبَيَانِ فِيمَا تَدَاوَلَهُ مِنْ مَعَانِي
الشَّعْرِ والأَدَبِ؛ وَهُوَ سِرُّ حِفَاوَتِهِ بِالْخَوَاطِرِ وَمِزَاجِ الْآرَاءِ،
وَسِرُّ إِحْسَانِهِ فِي مِهْنَتِهَا وَتَدْبِيرِهَا وَسِيَاسَتِهَا كَمَا يُحْسِنُ أَحَدُهُمْ
مِهْنَةَ الْمَالِ وَرَبَّهُ وَالْقِيَامَ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ سِرُّ عُلُوِّهِ عَلَى مَنْ يَنْخَشُّ
فِي الْأَدَبِ كَالْعِظْمَةِ الْجَاسِيَةِ تَنْشُبُ فِي حَلْقِ مُتَعَاطِيهِ، لَا يُبْقِي
عَلَيْهِ مِنْ هَوَادَةٍ وَلَا رَفْقٍ، وَبِخَاصَّةٍ حِينَ يَكُونُ هَذَا النَّاشِبُ
مِمَّنْ تَسَامَى عَلَى حِينِ غَفَلَةٍ يَوْمَ مَرَجَ أَمْرُ النَّاسِ وَاخْتَلَطَ، أَوْ
كَانَ مُرَهَّقًا فِي إِيْمَانِهِ مُتَهَمًا فِي دِينِهِ؛ إِذْ كَانَ الْإِيْمَانُ فِي قَلْبِ
الرَّافِعِيِّ دَمًا يَجْرِي فِي دَمِهِ، وَنُورًا يُضِيءُ لَهُ فِي مُجَاهِلِ الْفِكْرِ
وَالْعَاطِفَةِ وَيُسَيِّي لَهُ مَا أَعْسَرَ إِذَا تَعَانَدَتِ الْآرَاءُ وَاخْتَلَفَتْ
وَتَعَارَضَتْ وَأَكْذَبَ بَعْضُهَا بَعْضًا.

هَذَا، وَقَدْ أَرْخَيْتُ لِلْقَوْلِ حَتَّى بَلَغَ، وَكُنْتُ حَقِيقًا أَنْ أَغُورَ
إِلَى سِرِّ الْبَيَانِ وَاعْتِلَاقِهِ مِنَ الْعَاطِفَةِ وَالْهَوَى فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ
وَالْكَاتِبِ وَالْأَدِيبِ لِأَسَدِّدَ الرَّأْيَ إِلَى مَرْمَاهُ، وَقَدْ يَطُولُ ذَلِكَ
حَتَّى لَا تَكْفِيَ لَهُ فَاتِحَةُ كِتَابٍ أَوْ كِتَابٌ مُفْرَدٌ؛ فَإِنَّ الْبَيَانَ هُوَ
سِرُّ النَّفْسِ الشَّاعِرَةِ مَكْفُوفًا وَرَاءَ لَفْظٍ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ سَبِيلَهُ لَا
يَتَأْتَى إِلَّا بِالتَّفْصِيلِ وَالتَّمْيِيزِ وَالشَّرْحِ، وَلَا تُغْنِي فِيهِ جُمْلَةُ الْقَوْلِ
شَيْئًا مِنْ غَنَاءٍ. وَحَقِيقٌ بِمَنْ يَقْرَأُ هَذَا الْكِتَابَ أَنْ يَعُودَ إِلَى كُتُبِ
الرَّافِعِيِّ بِالْمُرَاجَعَةِ فَيَسْتَنْبِطُهَا التَّفْصِيلَ وَالشَّرْحَ، وَبِذَلِكَ يَقَعُ عَلَى

مَادَّةٌ تَمُدُّهُ فِي دِرَاسَةِ فَنُونِ الْأُسْلُوبِ، وَكَيْفَ يَتَوَجَّهُ بِفَنِّ
الكَاتِبِ، وَكَيْفَ يَتَصَرَّفُ فِيهِ الْكَاتِبُ بِحَسٍّ مِنْ قَلْبِهِ لَا يُخْطِئُ
أَنْ يَجْعَلَ الْمَعْنَى وَاللَّفْظَ سَابِقَيْنِ إِلَى غَرَضٍ مُتَوَاطِئَيْنِ عَلَى
مَعْنَى لَا يَجُورَانِ فَيُجَاوِزَانِهِ أَوْ يَقَعَانِ دُونَهُ.

رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، لَقَدْ شَارَكَ الْأَوَائِلَ عُقُولُهُمْ بِفِكْرِهِ، وَنَزَعَ
إِلَيْهِمْ بِحَنِينِهِ، وَفَلَجَ أَهْلَ عَصْرِهِ بِالْبَيَانِ حِينَ اسْتَعْجَمَتْ قُلُوبُهُمْ
وَارْتَضَخَتْ عَرَبِيَّتُهُمْ لُكْنَةً غَيْرَ عَرَبِيَّةٍ، ثُمَّ صَارَ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ
مِيرَاثًا تَتَوَارَثُهُ، وَأَدَبًا نَتَدَارِسُهُ، وَحَنَانًا نَأْوِي إِلَيْهِ.
رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ!.

محمود محمد شاكر

قائمة بمؤلفات الرافعي

حسب تاريخ إنشائها كما وردت في كتاب «حياة الرافعي» لمحمد سعيد العُزَيان مع بعض إضافات:

- «ديوان الرافعي» ثلاثة أجزاء، صدرت بين سنتي ١٩٠٢ و ١٩٠٦ م.

الجزء الأول: طبع في المطبعة العمومية بمصر، عام ١٣٢١هـ = ١٩٠٢م كتب عليه: نظمه مصطفى صادق الرافعي، وشرحه محمد كامل الرافعي. وهذا الشرح المنسوب إلى أخيه المرحوم محمد كامل الرافعي هو من إنشاء مصطفى صادق الرافعي نفسه. وقد جاء بخمس وأربعين ومئة صفحة من القطع الكبير. وهذا الجزء باكورة شاعريته، نظمه ما بين عامي ١٣١٩هـ و ١٣٢٠هـ. وكانت مقدمته في «الشعر واجتماع أسبابه» العنوان الكبير أمام أدباء العصر ونقاده، مما غبطه عليه أئمة البيان كالشيخ محمد عبده ومحمود سامي البارودي وإبراهيم اليازجي وأحمد شوقي وغيرهم.

الجزء الثاني: طبع في مطبعة الجامعة بالإسكندرية عام ١٣٢٢هـ = ١٩٠٣م. وجاء بعشرين ومئة صفحة من القطع الكبير. قدّم له بمقدمة عنونها: «سرقة الشعر وتوارد

الخواطر» ثبت فيها مكانته التي ارتقى إليها أدباً بمقدمة الجزء الأول، ووضع الدرجة الأولى في سُلّم النقد الأدبي الحديث مما أذهب الشكّ عن صدور ناquديه والمغتربين به جميعاً.

الجزء الثالث: طبع في مطبعة الأخبار في الفجالة، مصر عام ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م. وجاء بخمسين ومئة صفحة من القطع الكبير. قدم له بمقدمة عنوانها: «نوع من نقد الشعر».

- «ديوان النظرات» الجزء الأول، أنشأه بين سنتي ١٩٠٦ و١٩٠٨م، طبع في مطبعة الجريدة بمصر، عام ١٣٢٧هـ = ١٩٠٨م، في ثمان وعشرين ومئة صفحة من القطع المتوسط. قدّم له بحديث ثمين يبيّن فيه «حقيقة الشعر»، حتى حسب شبلي الشميل هذا الموضوع مترجماً!

- «ملكة الإنشاء» كتاب مدرسي يحتوي على نماذج أدبية من إنشائه، أعد أكثر موضوعاته وتهياً لإصداره في سنة ١٩٠٧م، ونشر منه بعض نماذج في «ديوان النظرات»، ثم صرفته شؤون ما عن تنفيذ فكرته فأغفله، وقد ضاعت أصوله فلم يبق إلا النماذج المنشورة منه في «ديوان النظرات».

- «تاريخ آداب العرب» صدر في طبعته الأولى عن مطبعة الجريدة، سنة ١٩١١م، في ٤٥٠ صفحة؛ بسبب من إنشاء الجامعة المصرية، ويراها أكثر الأدباء كتاب الرافعي الذي لا يعرفونه إلا به.

- «إعجاز القرآن» وهو الجزء الثاني من «تاريخ آداب العرب»، طبع ثلاث مرات، صدرت طبعته الأولى عام ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م، وصدرت الطبعة الثانية والثالثة في سنة ١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م و١٣٤٦هـ = ١٩٢٨م، على نفقة الملك فؤاد الأول، ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات في القاهرة وبيروت.

- «حديث القمر» أول ما أصدر الرافعي في أدب الإنشاء، وهو أسلوب رمزي في الحب تغلب عليه الصنعة، أنشأه بعد رحلته إلى لبنان في سنة ١٩١٢م حيث ألتقى لأول مرة بالآنسة الأدبية (م. ي) [هي ماري يني عطا الله]. صدر في طبعته الأولى عام ١٩١٢م عن ناشره الشيخ محمد سعيد الرافعي، المكتبة الأزهرية، في ست وسبعين ومئة صفحة.

- «المساكين» فصول في بعض المعاني الإسبانية ألهمه إياه بعض ما كان في مصر من أثر الحرب العالمية الأولى، أنشأه في سنة ١٩١٧م، وصدر في طبعته الأولى بمطبعة المعاهد بمصر عام ١٣٣٥هـ = ١٩١٧م، عن المكتبة الأزهرية، في ٢٦٨ صفحة من القطع المتوسط.

- «نشيد سعد باشا زغلول» كتيّب صغير عن نشيده: «اسلمي يا مصر!» الذي أهداه إلى المرحوم سعد زغلول في سنة ١٩٢٣م، طبع في المطبعة السلفية بالقاهرة؛ وأكثر ما في الكتاب من المقالات هو من إنشاء الرافعي رحمه الله أو إملائه. صدر عام ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م، في أربع وستين صفحة.

- النشيد الوطني المصري: «إلى العلا...» ضبط ألحانه الموسيقية الموسيقار منصور عوض. نشرته المكتبة الأزهرية بمصر عام ١٩٣٩هـ = ١٩٢٠م، في ٩٦ صفحة من القطع المتوسط.
- «رسائل الأحزان» كتاب أنشأه في سنة ١٩٢٤م يتحدث فيه عن شيء مما كان بينه وبين مي زيادة، على شكل رسائل يزعم أنها من صديق يبته ذات صدره.
- «السحاب الأحمر» هو الجزء الثاني من قصة حب فلانة [مي زيادة]، أو الطور الثاني من أطواره بعد القطيعة، صدر بعد «رسائل الأحزان» بأشهر.
- «تحت راية القرآن» هو كتاب «المعركة بين القديم والجديد»، وفيه قصة ما كان بينه وبين الدكتور طه حسين لمناسبة كتابه «في الشعر الجاهلي» صدر سنة ١٩٢٦م، عن المكتبة الأهلية بمصر، في أربعين وأربع مئة صفحة.
- «على السفود» قصة الرافعي والعقاد، نشرته مجلة العصور في عهد منشئها الأول الأستاذ إسماعيل مظهر، ولم تذكر اسم مؤلفه، ورمزت إليه بكلمة «إمام من أئمة الأدب العربي»؛ ديسمبر/كانون الأول، ١٩٣١م، أعيد طبعه حديثاً بدمشق، دار البشائر، ٢٠٠٠م.
- «أوراق الورد» الجزء الأخير من قصة حبه، يقوم على رسائل في فلسفة الجمال والحب، أنشأها ليصور حالاً من حاله فيما كان بينه وبين فلانة [مي زيادة]، ومما كان بينه وبين

صديقه الأولى صاحبة «حديث القمر» [ماري يني].

وتعد كتبه الأربعة: «حديث القمر» و«رسائل الأحران» و«السحاب الأحمر» و«أوراق الورد» وحدة يتم بعضها بعضاً، لأنها جميعاً تنبع من معين واحد، وترمي إلى هدف واحد، وإن اختلفت أساليبها ومذاهبها.

- «رسالة الحج» أنشأه في صيف سنة ١٩٣٥م، استجابة لرأي صديقه المرحوم حافظ عامر وإليه ينسب.

- «وحي القلم» مجموع مقالاته في الرسالة بين سنتي ١٩٣٤ و١٩٣٧م إلى مقالات أخرى، طبع منه جزآن في حياته، ثم أعيد طبعه مع الجزء الثالث أكثر من مرة بعد وفاته، في القاهرة وبيروت.

- الجزء الثالث من «تاريخ آداب العرب» طبع بعد وفاته، سنة ١٩٤٠م.

من الكتب التي لم تطبع:

- «أسرار الإعجاز».

- «ديوان أغاني الشعب».

- «تمة ديوانه».

الفهرس

- ٥ كلمة و كلمة
- ٧ هذا الكتاب
- ٩ أقوال العظماء في الرافي
- ١١ الرافي بقلم: تلميذه وصديقه الأستاذ محمد سعيد العريان
- ٢١ الرافي
- ٢٢ • تمهيد
- ٢٤ • صلتني بالرافي
- ٢٧ • الشيخ الرافي ...
- ٢٨ • نشأته
- ٣٠ • الرافي الشاعر
- ٣١ • الرافي وحافظ
- ٣٤ • الرافي الأديب
- ٣٧ • بين الجديد والقديم

- في النقد ٣٨
- الرافعي والمرأة ٤١
- وطنيته ٤٣
- إيمانه ٤٤
- حياته الخاصة ٤٦
- كيف يكتب ٤٩
- الرافعي القصصي ٥٤
- مصطفى صادق الرافعي بقلم أحمد حسن الزيات ٥٩
- تعريف بأحمد حسن الزيات ٦١
- مؤلفاته ٦٢
- مصادر ومراجع ٦٥
- بَعْدَ الْمَوْتِ مَاذَا أُرِيدُ أَنْ يُقَالَ عَنِّي ٧٣
- من كلام الرَّافِعِيِّ ٧٣
- كَلِمَةٌ وَكُلَيْمَةٌ ٨١
- الرافعي بقلم محمود بن محمد شاكر ١٢٩
- التعريف بمحمود بن محمد شاكر ١٢٩
- سيرة حياته ١٣٢

- ١٤١ ● مؤلفاته وتحقيقاته
- ١٦٩ الرافعي للأستاذ محمود محمد شاكر
- ١٧٣ فاتحة الكتاب
- ١٨٣ قائمة بمؤلفات الرافعي
- ١٨٩ الفهرس